السيرة النبوية
للأطفال



اسم الكتاب : السيرة النبوية للأطفال
إعداد الشيخ : حسن زكريا فليفل
رقم الإيداع : ١٤٤٥٨ / ٢٠١٤
نوع الطباعة : لون واحد
عدد الصفحات :١٦٠
القياس : ١٧×٢٤
تجهيزات فنية : مكتب دار الإيمان
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. يسري حسن

٢٠١٦



١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

السيرة النبوية ﷺ للأطفال

إعداد

حسن زكريا فليفل

عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن الملاحظ لتاريخ البشرية يجد أن أي عظيم قد ضاع من تاريخه الكثير ، وأن تفاصيل كثيرة من حياته غير معروفة ما عدا محمداً ﷺ ، الذي سجلت حياته كلها لحظة بلحظة، وهذا شيء غير مألوف ولا معروف لأحد من أول أن خلق الله الخلق إلى اليوم، ويصلح هذا أن يكون دليلاً على أن هناك إرادة عليا وراء ذلك، وهذا دليل ضمني على وجود الله تعالى .

أما تسجيل ذلك في القرآن الكريم فهو قوله تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[الشرح : ٤] ، وعلى هذا فإن الله تعالى بعدله عندما قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب :٢١] بيَّن حياة من جعله أُسوة حسنة لحياة الناس وجعلها مرفوعة الذِّكر حتى يسهل تنفيذ أمر الاقتداء .

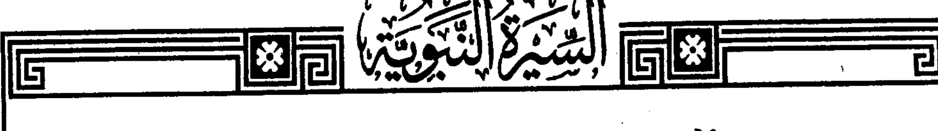
وعلى هذا فلا عجب أن تكون المؤلفات التي كُتبت في السيرة كثيرة ، وقد تناولت أدق التفاصيل . وقد توكلت على الله تعالى ، وكتبت في السيرة من منطلق التلخيص والتبسيط ومحاولة الاستفادة والتعلم من السيرة الشريفة ودروسها الكثيرة ، وتوظيف هذه الدروس لترسيخ العقيدة السليمة في نفوس المسلمين .

هذا وبالله التوفيق

بقلم

حسن زكريا فليفل

يغفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



الله أعلم حيث يجعل رسالته

أرسل الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ في الزمان المناسب والمكان المناسب وبين مجموعة من الناس مناسبة، وقد اختاره الله تعالى من أشرف الناس نسباً، ولا غرابة في ذلك، فإن المرسل هو الله العليم الحكيم الخبير .

أولاً : من حيث الزمان :

فقبل بعثة النبيّ ﷺ وصلت حالة البشرية إلى النهاية في الفساد والكفر والجهل والفجور، وكان أكبر فساد يرجع إليه كل لون من ألوان الفساد الأخرى هو فساد الدين، فلا صلاح للدينا في أي مجال إلا بصلاح الدين، لأن الدين يصلح الإنسان الذي هو أساس كل إصلاح، وقد فسد دين الناس في هذا الوقت، وكان أساس الفساد

فيه ضياع المعالم الصحيحة للرسلات السابقة إذ تعرضت كل رسالة سابقة للتحريف بالإضافة والحذف ، مما أدى إلى تخبط الناس فأصبحوا يعبدون كل شيء إلا الله .

وإليك بعض الأصناف التي عبدها الناس :

[١] البشر :كعُزير الذي عبده اليهود وجعلوه ابناً لله تعالى، وكالمسيح الذي عبده النصارى وجعلوه كذلك لله إبناً، سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علواً كبيراً .

[٢] الملائكة .

[٣] الجـــن .

[٤] الحيوانات : كالبقر، وهي عبادة الهندوس حتى الآن في الهند .

[٥] أرواح الموتى .

[٦] مظاهر الطبيعة : كالشمس والقمر والكواكب

والنجوم والأشجار والأنهار .

[٧] الأحجار والأصنام والصور .

[٨] النار : وهي عبادة المجوس في بلاد فارس .

ويضاف إلى ذلك انقسام أهل كل دين على أنفسهم فظهرت شيع ومذاهب، وكان العرب أسوأ الناس حالاً، فكان حول الكعبة المشرفة مئات الأصنام، كما يوجد لكل قبيلة صنم ؛ بل ولكل بيت ولكل رجل ... حتى بحث عقلاء العرب عن الدين الحق ، وكان من هؤلاء العقلاء : أبو قيس بن الأسلت (١) ، وورقة بن نوفل، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل (٢) .

ومن قول زيد بن عمرو :

أربّاً واحداً أم ألف رب ؟ ... كما قال .

---

(١) في المدينة .

(٢) صور من حياة الرسول لأمين دويدار « ص ١١٤ » .

ولكن أعبد الرحمن ربي : ليغفر ذنبي الرب الغفور.

والذي يعلم ما تقدم لا يعجب بعد ذلك إذا علم ألوان الفساد التي نشأت عن فساد الإنسان بسبب فساد عقيدته.

وإليك بعض مظاهر هذا الفساد :

[١] الفساد السياسي :

انتشرت الحروب وانقسم الوطن الواحد إلى وحدات سياسية كثيرة، حتى أن القبيلة العربية كانت تمثل نظاماً مستقلاً كوحدة سياسية لها أرضها وزعيمها « شيخ القبيلة » وجيشها « من أفراد القبيلة »، وكانت الحروب تقوم بين القبائل لأتفه الأسباب .

[٢] الفساد الاجتماعي :

الفرد أساس الأسرة والأسرة أساس المجتمع، وبفساد الفرد فسدت الأسرة، وتبع ذلك فساد المجتمع .

كان الفرد العربي فاسداً ؛ فإذا تزوج ظلم المرأة ، وإذا

ولدت له بنتاً قتلها [1] ، ومن هنا كانت المرأة كالمتاع يحتاج إليها الرجل لشهوته، ويقتلها صغيره خوفاً من العار لعلمه أنها إذا كبرت في هذا المجتمع الفاسد قد لا يقدر على حمايتها من الذئاب الذين لا هم لهم إلا إشباع شهواتهم، وقد حجبت الخمر عقولهم .

وكذلك كان الفرد غير العربي فاسداً ولم يوجد في ذلك الوقت مجتمع صالح . ويكفي أن تعلم أن من هذه المجتمعات من اعتقد مثلاً أن المرأة دنس ونجس حتى ثار سؤال : هل المرأة إنسان أم لا ؟ فهل يصلح مجتمع فيه مثل هذه الأفكار وهل تستقيم حياته الاجتماعية ؟ .

وكان المجتمع في العادة يتكون من طبقتين: سادة وعبيد، وهم الأغلبية الساحقة .

---

(١) وذلك هو وأد البنات : راجع تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩** ﴾ [الآيتان ٨، ٩ : التكوير] .

[٣] الفساد الاقتصادي :

علمنا أن الفرد في العالم في ذلك الوقت قد فسد، والفرد أساس الاقتصاد، فهو العامل وهو المستهلك، وهو أساس كل المعاملات، وعلمنا أن المجتمعات قد فسدت وأصبح نظامها الفوضى، ومن هنا تعامل الفرد بالربا، وقبل الرشوة، وأضاع ماله في القمار والخمر، وأضاع صحته في السهر والانحراف بدلاً من العمل والانتاج، وقد أنفق كل مجتمع الأموال الكثيرة على الحروب .

ثانياً : من حيث المكان :

أما المكان الذي اختاره الله تعالى لميلاد سيدنا محمد ﷺ وحياته وانطلاقه :

[١] وجود البيت الحرام فيه :

حيث يحج الناس إليه، وفي هذا فرصة لدعوتهم إلى الإسلام، وقد حدث ذلك فعلاً في بيعة العقبة الأولى

والثانية عندما جاء بعض أهل المدينة « يثرب » إلى البيت الحرام فدعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فدخلوا فيه ودعوا أقوامهم في المدينة ، مما مهد لهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فيما بعد .

[٢] من حيث الموقع :

إذا نظرت إلى خريطة العالم وجدت مكة وأرض الحجار في وسط العالم، وفي طريق المسافر من الشرق إلى الغرب أو من الشمال إلى الجنوب .

[٣] من حيث الظروف الطبيعية :

تجد أن مكة محاطة بصحراء واسعة وجبال وتلال كثيرة تقع تحت شمس محرقة تجعل أي عدو لا يفكر في مهاجمتها ... كما أن قلة المطر وقلة النبات لا تشجع أي عدو طامع في أن يفكر في السطو عليها .

ثالثاً : من حيث نوع الناس الذين يعيشون في المكان والزمان :

هم من البدو الرجل الذين من صفاتهم قوة الجسم ورشاقته ، وخفة الحركة، وإتقان فنون الحرب ، وذلك للأسباب الآتية :

[١] تنقلهم المستمر وراء الماء والعشب .

[٢] تنقلهم المستمر للتجارة بين الشمال والجنوب .

[٣] حياة الجندية التي عاشوها بسبب كثرة الحروب .

[٤] حياة التقشف التي عاشوها في الخيام في الصحراء .

[٥] الحياة في الصحراء ذات الجو النقي والهواء الطلق والشمس الساطعة .

[٦] نوع الطعام الذي يأكلونه والذي يتكون في معظمه من أصناف ثلاثة :

(أ) اللحوم .

(ب) الألبان .

(جـ) التمر .

فاللحوم تبني الأجسام، واللبن غذاء كامل غني بالبروتين والدهون والأملاح والفيتامينات، والتمر سهل الهضم ويعطي الطاقة تساعد على الحركة ؛ فلما دخل هؤلاء البدو في الإسلام كان عندهم الصبر والقدرة على تحمل الأذى ؛ وقد فتح الله تعالى لهم البلاد ونشر بهم الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها لما صبروا في حرب عدوهم ، وقد أعطاهم الإيمان قوة ، أضيفت إلى قوة أجسامهم .

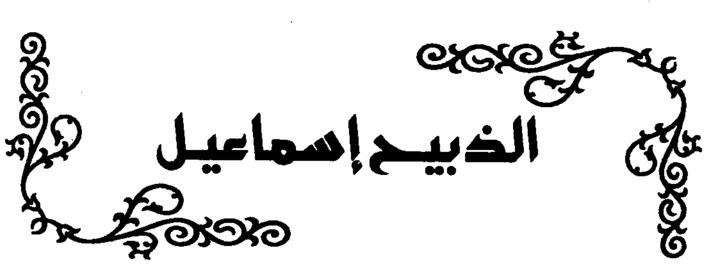
رابعاً : نسبه الشريف ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : « **أنا خيار من خيار** » فهو ﷺ من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومن نسل إبنه إسماعيل

عليه السلام فقد جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى وادي مكة مع زوجته « هاجر » وابنه الرضيع إسماعيل وفي الوادي تركهما وعاد إلى أرض فلسطين وكان ذلك بأمر الله تعالى، فلما انتهى الماء مع السيدة هاجر أخذت تبحث عنه بين جبل الصفا وجبل المروة ، وقد تركت الرضيع وهو يبكي فلما لم تجد الماء عادت إليه ، وكانت المفاجأة أن وجدت الماء قد نبع بجواره وهذا الماء هو ماء زمزم .

وفي يوم مر جماعة من قبيلة « جُرهم » واستأذنوا السيدة هاجر أن يبقوا بجوار الماء ، فأذنت لهم فطال مقامهم في هذا المكان حتى نشأ بينهم سيدنا إسماعيل عليه السلام ، ومنهم تعلم اللغة العربية الفصحي وبها تكلم .





الذبيح إسماعيل

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يحضر إلى وادي مكة ليرى هاجر وابنه إسماعيل، وفي مرة حضر فأمره الله تعالى أن يذبح سيدنا إسماعيل فلم يتردد عليه السلام ، وقد عرض الأمر على سيدنا إسماعيل حتى يأخذ الأجر من الله تعالى إذا أُطاع ورغب في تنفيذ أمر الله تعالى ، وما توقعه الأب من ابنه حدث، ولم يكن قوله لأبيه : ﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات :١٠٢] غريباً ، فراح سيدنا إبراهيم ينفذ أمر الله ـ سبحانهُ وتعالىَ ـ في فِلذة كبده ، الذي وهبه الله تعالى له بعد طول انتظار للولد [١] .

---

(١) تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام من السيدة سارة فلم ينجب منها فتزوج جاريتها هاجر فأعطاه الله تعالى منها إسماعيل عليه السلام .

وراح سيدنا إسماعيل عليه السلام يستسلم لأمر الله تعالى ، وقبل أن تصل السكين إلى عروقه ودمه كان جبريل عليه السلام قد وصل بالفداء بأمر الله تعالى، قال جل شأنه : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧].





بناء البيت الحرام

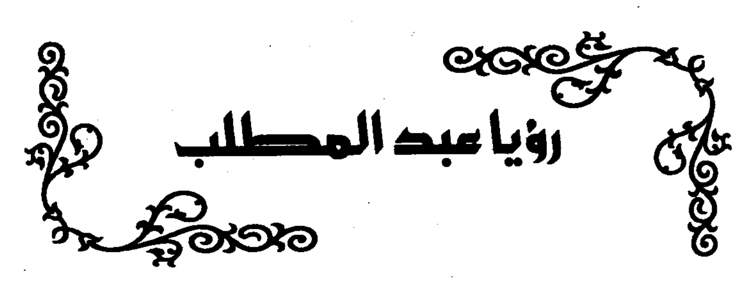
وفي مرة أخرى جاء سيدنا إبراهيم إلى وادي مكة فأمره الله تعالى أن يرفع القواعد من البيت الحرام ، وهو أول بيت وضعه الله تعالى للناس لعبادته سبحانه . أحضر سيدنا إسماعيل الحجارة وأخذ سيدنا إبراهيم يبني .

شرف الله تعالى سيدنا إسماعيل عليه السلام بأن جعله يعيش في هذا المكان المبارك بجوار المسجد الحرام يستقبل الحجيج ، ويقوم على إطعامهم وسقايتهم وخدمتهم، وظل ذلك في ذريته من بعده، وزاد شرف سيدنا إسماعيل بجعله رسولاً لأهل هذا المكان ومن حوله ، يدعوهم إلى عباده الله تعالى وحده لا شريك له .

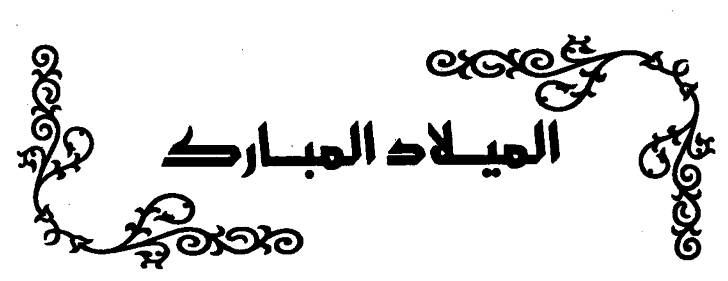
وقد تزوج سيدنا إسماعيل وولدت له زوجته اثنا

عشر ولداً ذكراً، وقد تسلسلت ذريته عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ مروراً بعبد المطلب جد النبيّ ﷺ الذي كان له شرف إطعام الحجيج وسقايتهم وخدمتهم، وقد وصل في قومه إلى منزله كبيرة فكانت الرياسة له، وقد رزقه الله تعالى عشرةً من البنين كان آخرهم عبد الله والد النبيّ ﷺ الذي زوجه أبوه – لما كبر – فتاة اسمها آمنة بنت وهب عاش معها حياة سعيدة، ولكنها قصيرة حملت خلالها وبعد ثلاثة أشهر من الحمل خرج « عبد الله » مع قافلة تجارية إلى الشام [1]، وفي طريق العودة وقع فريسة للمرض فأقام في المدينة عند أخواله من بني النجار وعندهم مات ودفن .

(١) إلى مدينة غزة .



وذات ليلة رأى عبد المطلب جد النَّبي ﷺ في منامه سلسلة من الفضة تخرج من ظهره ، لها طرف في الأرض وطرف في السماء ، وظهرت هذه السلسلة بعد قليل كأنها شجرة وعلى ورقة منها نور ، وقد تعلق بها كل الناس، وقد فسرت الرؤيا لعبد المطلب ، على أن ابنه عبد الله سيرزق ابناً يتعلق به الناس في الشرق وفي الغرب ، وسألوه ماذا تسميه ؟، قال :أسميه محمداً ليحمده من في الأرض ومن في السماء .



لما تمت أشهر الحمل ولدت السيدة آمنه محمداً ﷺ وكان ذلك في فجر يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول،الثاني والعشرين من شهر إبريل (سنة ٥٧١ م)[1] . في شِعْب بني هاشم ، وقد اختار جدّه عبد المطلب اسم « محمد » وهو اسم لم يكن معروفًا في العرب ، وقد ختنه جدّه يوم سابعه .

وكان ذلك إيذاناً ببزوغ فجر جديد على البشرية كلها، وكان هذا العام هو ما أطلق عليه عام الفيل ، حيث جاء أبرهة القائد الحبشي بجيشه المسلح بالأفيال لهدم الكعبة ، فخرج إليه عبد المطلب جد النَّبىّ ﷺ يطلب

(١) عام ٥٧٠ في بعض المراجع .

مائتي بعير كان أبرهة قد أخذها ... فتعجب أبرهة لذلك وقال له : أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ؟ ، قال عبد المطلب قولته المشهورة : « **للبيت رب يحميه** » .

وحدثت المعجزة إذ أرسل الله تعالى إلى الجيش الطير ترمى بحجارة صغيرة تقتل الجنود والأفيال بقدرة الله تعالى ، فيهزم الجيش ويحمي البيت ربه .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)** ﴾ [الفيل : ١ – ٥] .

ولعل هذه الحادثة في هذا العام المبارك من مقدمات الميلاد المبارك، ومن المعجزات بين يدي الرسالة الخاتمة .



الرضاع

كان للسيدة حليمة السعدية شرف إرضاعه ﷺ ، وقد كانت تعمل مرضعة للأطفال بدل أمهاتهم [1] ، وكان من عادة العرب في ذلك الوقت أن يسلموا أطفالهم لمرضعة .

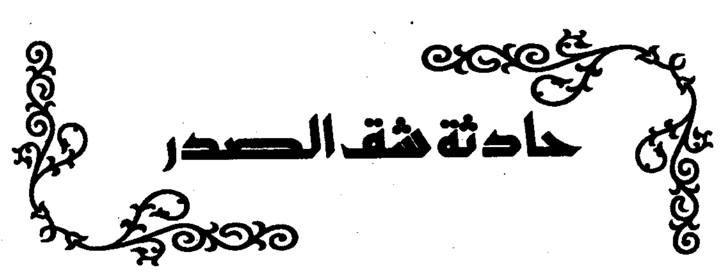
ذهبت السيدة حليمة إلى مكة تركب حماره بطيئة ضعيفة ، أخرتها في الطريق عن كل صويحباتها مرة بعد مرة، ثم عادت من مكة إلى ديار « بني سعد » سريعة نشيطة راضية سعيدة بمن يركب فوقها : الطفل « محمد »

---

(١) أول من أرضعه ﷺ بعد أمه ثويبة جارية عمه أبي لهب وقد حفظ لها هذا الجميل وأكرمها وقد ماتت وهو بالمدينة فسأل عن ابنها ليصله ، فعلم أنه مات قبلها ، ذلك مع أنها لم ترضعه سوي أيام قليلة ، ومما يذكر أيضاً أن ثويبة لما بشرت به عمه أعتقها .

ﷺ ، وحليمة التي كان من حظها إرضاعه ﷺ دون غيرها من المرضعات ؛ فلما عادت به عادت بالرخاء والرزق الوفير إلى ديار بني سعد التي لم تكن تعرف قبل وصوله ﷺ إلا قلة المطر وجدب الأرض ؛ فتبدل الحال بنزول المطر وكثرة العشب وشبع الحيوانات، وكثرة إدرارها للبن لتعيش حليمة مع زوجها «الحارث» وأبنائها في يسر وهناء بعد فقر وجوع ،وجرى اللبن في ثدي السيدة حليمة بعد طول جفاف فأرضعت ابنها الذي طال جوعه وكثر بكاؤه قبل وصول هذا الرضيع المبارك . . . .

وظل الطفل المبارك طوال عامين في ديار بني سعد حيث الحياة نقية فطرية في صحراء هواؤها نقي وجوها طلق وشعاعها مرسل، وحيث تنطلق العواطف والأفكار والتأملات .



حادثة شق الصدر

وبعد العامين عادت السيدة حليمة بوليدها إلى مكة وقد ألحت على السيدة آمنة أن توافق على بقائه عندها مرة أخرى لما رأت من بركته ﷺ ؛ فوافقت ـ وهكذا الكرام لا يقطعون رجاء أحد فيهم ـ وظل الطفل المبارك مع السيدة حليمة حتى قارب الرابعة من عمره ، يوم أن جاء ملكان وهو يلعب مع أخيه من الرضاع [1] ، وشقا صدره الشريف وغسلا قلبه فلما علمت السيدة حليمة بذلك خافت عليه وأسرعت به إلى أمه، وقصت عليها ما حدث له، ولكن السيدة آمنه قالت لها أنها رأت أعجب من ذلك في حمله ووضعه . . .

---

(١) ابن السيدة حليمة السعدية .

وهناك من ينكر حادثة شق الصدر، هذه لأنه يعرض الأمر على عقله فلا يتصور أولاً يجد له ضرورة من وجهة نظره حيث أن الله تعالى يمكن أن يطهر قلب النبيّ ﷺ بدون الحاجة لشق الصدر .

وإذا كان الأمر كذلك فأقول أن الله تعالى قادر على نصر النبيّ ﷺ بغير جهاد ومعاناة ، وبقى أن يتذكر كل معارض، أننا نعيش في دنيا الأسباب ، وأن تصوراتنا لا تستوعب أشياء كثيرة ؛ فنحن نسعى ونعمل لندخل جنة لا يستطيع أحدنا تصور ما فيها، ففيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وبعد فقد انتهت فترة من حياة هذا الطفل المبارك، قضاها في بادية صح فيها جسمه وزاد نماؤه وصفا عقله، ثم عاد إلى مكة .

وفي سن السادسة من عمره ذهبت به أمه « السيدة

آمنة » إلى يثرب [١] ، لزيارة أخوال أبيه من بني النجار ومعها الحاضنة أم أيمن « بركة » الحبشية [٢] .

(١) أصبح اسمها المدينة بعد ذلك .

(٢) هي جارية عبد الله ، والد الرسول ﷺ .

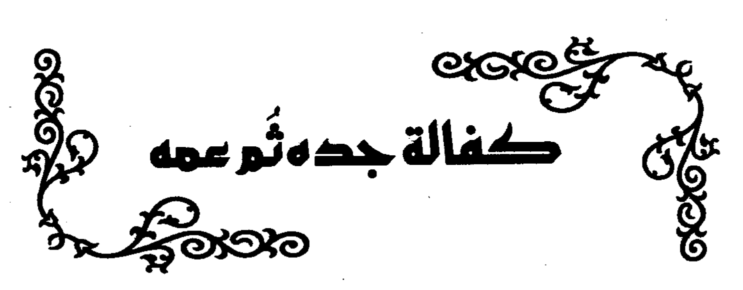




وفاة أمه ﷺ

أقام الرسول ﷺ شهراً في يثرب خالط فيه كثيراً من الأطفال، وقد وجد فيهم رقة فأحبهم كما أحب حدائق المدينة ونخلها وزرعها وماءها، وفي طريق العودة فاجأ الموت الأم فعاد سيدنا محمد ﷺ إلى مكة مع حاضنته أم أيمن، ولم يعد له أب ولا أم ، والله يعلم أن في ذلك قمة التكريم له حتى لا يعلمه بشر، ويكون في تربية إلهية مستمرة، وحتى يتعود أن يلجأ إلى الله تعالى وحده في كل حال فلا يقول: يا أبي ... يا أمي ، ولكن يقول دائماً : يارب .

وقد فقد بيتمه تدليل الطفولة الذي يزعزع الشخصية، كما عاش فقيراً بعيداً عن الترف الذي يذهب بالصبر وقوة العزيمة .



قام جده عبد المطلب برعايته ﷺ حتى مات والرسول ﷺ يومئذ ابن ثماني سنين ؛ فانتقلت رعايته وكفالته إلى عمه أبي طالب، رغم كثرة عياله وقلة ماله؛ فبارك الله تعالى في القليل، وكان سيدنا محمد ﷺ يساعد عمه في بعض أعماله ، فكان يرعى لبعض القرشيين أغنامهم مقابل أجر محدد، وبذلك كان رسول الله ﷺ يعيش من كده وعرقه منذ نعومة أظافره (١) .

وكان مثال القناعة والاكتفاء بالكفاف في حين كان الأطفال من حوله يتخطفون الطعام من كل جانب، وهو

---

(١) ثبت أن عدداً من الأنبياء كان يرعى الغنم تدريباً لهم على سياسة الناس والرفق بالضعفاء والسهر على حمايتهم .

قانع بما تيسر له، كما كان بعيداً عن الأمور الصغيرة التي تشغل الأطفال عادة، وقد حفظه الله تعالى من أقذار الجاهلية ، وهو يخبر عن نفسه ﷺ أنه ما هم بشيء كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين حفظه الله تعالى فيهما : المرة الأولى ، ترك غنمه لغلام كان يرعى معه ودخل مكة فسمع عزفاً في عرس فجلس ليسمع،فألقى الله ـ تعالى ـ عليه النوم فما أيقظه إلا حر الشمس، ثم فعل في المرة الثانية مثل ذلك؛ فحدث له مثل ما حدث في المرة الأولى .



السفر إلى الشام

ولما بلغ النبيّ ﷺ اثنتي عشرة سنة من العمر سافر لأول مرة بتجارة إلى الشام مع عمه في قافلة لقريش، وفي الطريق إلى دمشق مرت القافلة بمدينة « بصرى » فرأى القافلة راهب يدعى « بحيري » وعليها غمامة تتحرك معها ؛ فتعجب وطلب من جميع من في القافلة أن يحضروا طعاماً أعده لهم ؛ فحضروا ولم يحضر محمد ﷺ فبقيت الغمامة عنده ؛ فطلب منهم الراهب أن يحضروا محمداً ؛ فلما حضر فحصه وسأله عن أشياء من حالات نومه ويقظته ، فوجدها كما عنده في الكتاب (١) .

---

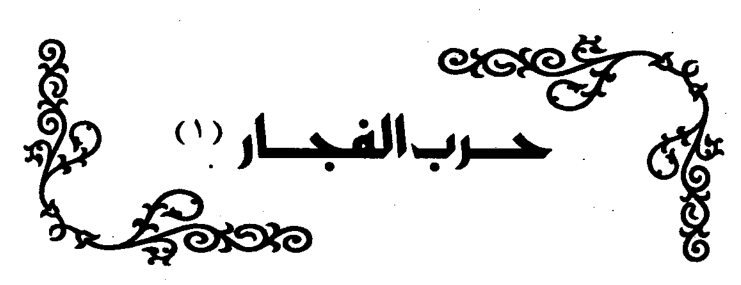
(١) الكتاب المقصود هو إنجيل برنابا حيث كان الراهب نصرانياً « والله أعلم » .

ثم نظر في ظهره وتأكد من وجود خاتم النبوة [1] بين كتفي الرسول ﷺ ، فوصى به عمَّه وحذره من اليهود .



(١) وهو شامة سوداء حولها شعيرات سوداء ، وهو كالتفاحة أو كبيضة الحمامة « السيرة النبوية لابن هشام » .





حرب الفجار (١)

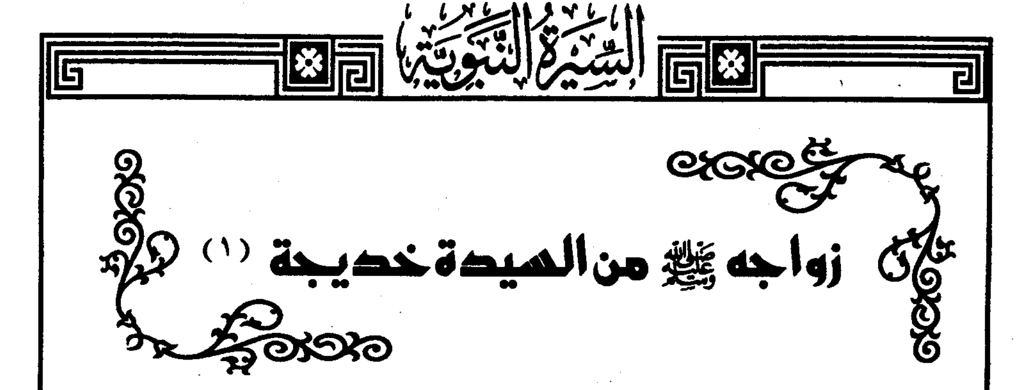
قامت حرب الفجار بين قريش وهوازن، وقد شارك فيها الرسول ﷺ وهو لا يزال دون العشرين من عمره ، وقد استمرت هذه الحرب أربعة أعوام، ولعل في ذلك تدريباً وتجهيزاً لرسول الله ﷺ للمهمة التي سيقوم بها وللغزوات التي سيقودها بعد ذلك .

حلف الفضول :

شهد الرسول ﷺ حلف الفضول بعد انتهاء حرب الفجار، وكان في سن العشرين، وهو حلف لنصرة المظلوم وكان في دار عبد الله بن جدعان، وقد اشترك فيه أشراف مكة ، وقد صرح الرسول ﷺ بعد ذلك بأنه لو دُعِيَ لمثل هذا الحلف في الإسلام لأجاب .

---

(١) أي المفاجرة لانتهاك حرمة الأشهر الحرم .



زواجه ﷺ من السيدة خديجة (١)

اشتهر الرسول ﷺ في مكة بحسن الخلق والأمانة حتى سمي بالأمين فاختارته السيدة خديجة للسفر بتجارتها إلى الشام مع غلامها « ميسرة » وقد قص عليها ميسرة ما رأى من معجزات سيدنا محمد ﷺ وأخلاقه وأمانته وصدقه، وقد رأت من البركة والربح الوفير على يديه ﷺ ، كل ذلك بجانب معاملته السمحة لها ، وعدم تطلعه إلى مالها أو جمالها، مما جعلها ترغب في الزواج منه .

فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه ، وأرسلتها تستطلع لها من طرف خفي مدى تجاوب

---

(١) هي امرأة من مكة ذات شرف ونسب ومال ، وكانت قد تزوجت من قبل وتوفي عنها زوجها ، وكانت قد بلغت الأربعين .

محمد ﷺ ؛ فعادت السيدة نفيسة تبشرها بموافقة النَّبيّ ﷺ ثم تمت الخطبة وكان ﷺ قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف .

وقد حضر الخطبة عن رسول الله ﷺ عمه أبو طالب وعماه العباس وحمزه، وحضرها من جانب السيدة خديجة « ابن عمها » ورقة بن نوفل، ثم تم الزواج المبارك، وتولى هذا الزوج الكريم إدارة أموال السيدة خديجة، وكانت حياته معها سعيدة صافية، وقد ولدت له من البنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم [١] ، وقد توفاهم الله في سن مبكرة ، ولعل ذلك لحكمة جليلة ، منها ترقيق قلب رسول الله ﷺ حتى يكون مواسياً للمحزونين، رءوفاً رحيماً بالناس أجمعين « والله أعلم » .

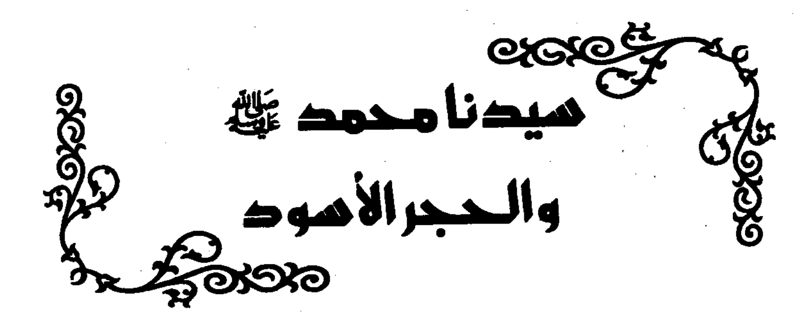
والرسول ﷺ لم يتزوج على السيدة خديجة حتى

---

(١) وبه كان يُكنى ﷺ يقال له « أبا القاسم » .

ماتت، وكان إذ ذاك قد تجاوز الخمسين من عمره الشريف ليكون في ذلك الرد القوي على هؤلاء الذين يحلو لهم التطاول على حضرته - ﷺ - ، فلو كان كما يقولون ما قضى شبابه مع امرأة واحدة تكبره بسنوات كثيرة !!.

وكان ﷺ زوجاً وأباً مثالياً ورب أسرة يرعاها حق الرعاية، يدير أمورها ويحنو عليها، ويحسن توجيهها، ولم تكن هذه الأسرة تشغله عن النظر والتأمل في الوضع الجاهلى الذي عليه قومه من عبادة الأصنام، وشرب الخمر والربا والزنى ، ووأد البنات، وغير ذلك، وكان ﷺ موضع احترام الجميع وتقديرهم يرون فيه الحكمة البالغة والحكم الصائب .



وقد حدث في بعض السنين أن هدم السيل الغزير بعض جدران الكعبة ؛ فأراد رجال قريش إعادة البناء، ولما وصلوا في البناء إلى الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يضعه في موضعه، وكادت الحرب تقع بينهم لولا أن قال قائلهم : نحتكم في خلافنا هذا لأول داخل علينا .

وكان رسول الله ﷺ أول داخل عليهم ؛ ففرحوا وقالوا : هذا هو الأمين، رضينا به حكماً فبسط الرسول ﷺ رداءه ووضع الحجر الأسود في وسطه وطلب من الزعماء أن يمسكوا بأطراف الرداء ويقتربوا من مكان الحجر ؛ فلما فعلوا ذلك تناول الرسول ﷺ الحجر ووضعه

بيده الشريفة في مكانه فجنب بذلك القوم شر الاختلاف والتقاتل ولعل هذا من التمهيد لبعثته ﷺ فقد ارتضوه حكماً بينهم ، وظهر لهم بعد تحكيمه ما عهدوه فيه من رجاحة عقل ، وسداد رأى، وما رأوه إلا صادقاً أميناً في كل حال وما رأوه في مجالس لهوهم فضلاً عن مشاركته لهم في كل عمل له قيمة فهو الراعي وهو التاجر وهو المحارب وهو الشاهد لحلف الخير والفضل ، وهو الحكيم العادل .



بعثة الرسول محمد ﷺ :

لقد ظهرت لنا بعد صفحات مضت حاجة العالم إلى الإصلاح ... لقد أظلمت الأرض وتطلعت إلى النور من السماء ، ولكن من يحمل المشعل ؟ ، إن المهمة شاقة وإن محمداً ﷺ قد صاغته العناية الإلهية ليكون جديراً بها .

إن يد العناية يلمحها كل كيس فطن في كل لحظة من حياة النبيّ ﷺ وقد ظهر لنا ذلك جلياً فيما سبق ، وأما ما يتعلق ببداية البعثة النبوية فعلى كل مفكر أن يتأمل كيف أن الخالق سبحانه ـ وتعالى ـ جعل عبده محمداً ينعم بحياة زوجية سعيدة هادئة لا تعكر صفو تفكير ولا تقطع طول تأمل ، وكان الرسول ﷺ في هذه الآونة لا

يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وفي ذلك إطلالة عظيمة على عالم الغيب ، إنه علم المستقبل الذي لا يصل العبد إلى شيء منه بمفرده ، ليدل ذلك على وجود قوة عظمى تبرز لتجيب على أسئلة المتأمل ! ، من خلق الكون ؟! ، من خلق الإنسان ؟! من الإله الحق ؟! ويكون في ذلك التمهيد قبل نزول سيدنا جبريل عليه السلام إلى النبيّ ﷺ يقول له : ﴿ اقْرَأْ ﴾ [العلق : ١] ، مكرراً ثم يبلغه أول آيات الوحي المبارك : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] ، والمعنى الشامل لهذا الأمر أن يجعل المسلم حياته كلها لله وباسم الله طاعة له وتسليماً : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

[الأنعام : ١٦٢-١٦٣] .

وتكون المعجزة للرسول ﷺ أنه يقرأ ويتعلم بغير

معلم من البشر وبغير أسلوب التعليم المعروف للناس جميعاً . إنه التعليم بغير واسطة .

إنه لا أحد من البشر يكون معلماً للنَّبيّ ﷺ فيكون النَّبيّ مديناً له ، ويكون المعلم صاحب فضل عليه ، وهذا يضاف إلى مفردات تكوين الله تعالى للنبي ﷺ .

ولما بدأ الوحي في النزول على النَّبيّ ﷺ كان قد بلغ الأربعين ووصل إلى أعلى درجات الاستعداد والتهيئة ، وبرغم ذلك فهو قد خاف وارتجف ، وطمأنته السيدة خديجة وهدأت من روعه ، وفي ظلال ذلك يمكن أن تظهر الحكمة الإلهية في زواجه ﷺ من السيدة خديجة وهي تكبره بسنين ، تصلح أن تكون الفرق بين عمر الأم وابنها . . . .

ولنسمع لها رضي الله عنها تقول له ﷺ :

[كلا والله لا يخزيك الله أبداً] ؛ إنها بهذه المقولة

تقضى على كل سبب للخوف وتبرهن على صدق قولتها بأن أتبعت ذلك بقولها : [**إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل** [١] **، وتُكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتُعين علي نوائب الحق**] .

إنها فصلت المقدمات التي لا تكون بعدها إلا النتائج الطيبة ، فهل بعد سماع هذا يبقى خوف أو يرجف فؤاد ؟ .

إن هذه المقولة – إن تأملتها – تدل على رجاحة عقل السيدة خديجة ﵂ ، كما أنها تبين قوة ارتباطها بالله تعالى . . . .

ثم إنها قد اختارت فأحسنت الاختيار عندما ذهبت به ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . . . ذهبت به إلى عالم بالكتب التي أنزلها الله قبل ذلك وهذه الكتب فيها

---

(١) أي تقوم باعباء كثيرة كالإنفاق علي الضعفاء والمحتاجين .

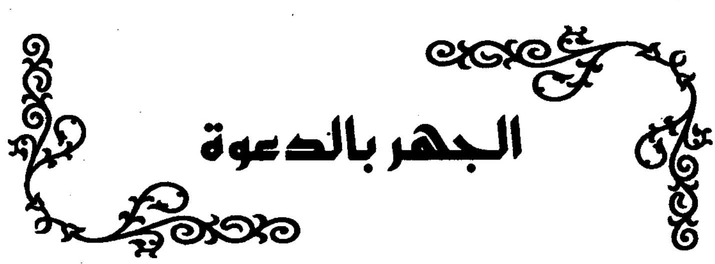
البشارة بالنَّبيّ الخاتم ، وما كان من ورقة إلا أن أثبت صدق حدسها ... ولقد أتم ورقة بذلك اطمئنان النَّبيّ ﷺ أيضاً ، ثم إن الوحى قد انقطع بعد ذلك مدة كانت كافية لعودة الرسول ﷺ إلى حالته الطبيعية ؛ بل وكافية أيضاً لتكوين قدر من الشوق إلى الوحى تهون معه معاناة النَّبيّ بطاقته البشرية المحدودة وهو يقابل الملك ويتلقى قرآناً لا تتحمله الجبال ....

وبدأ الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام سراً وكانت السيدة خديجة أول من آمن به فانظر عظمة الاختيار الإلهي ... اختار له زوجة تفهمه وتستجيب لدعوته فتعينه على أمره وتواسيه ....

وآمن به علىّ بن أبي طالب وكان يعيش معه كأبنائه كما آمنت به حاضنته أم أيمن وكذا زوجها زيد بن حارثه رضي الله عنهم وكان مولى النَّبيّ ﷺ ؛ فتم للنَّبىّ ﷺ بذلك ما

هيأه له ربه من جو أسرى سعيد هو عون له على شأنه بلا جدل ، وقد كان أبو بكر الصديق أول من آمن به من الرجال ، وهو صديق حميم ؛ فكان في ذلك العون والسند وقد وضع ماله - وكان غنياً - في يد الرسول ﷺ خدمة للدعوة ، هذا وقد ظلت الدعوة الإسلامية سراً لمدة ثلاث سنوات .

ألا ترى معي في كل ذلك يد العناية الإلهية ؟ .



الجهر بالدعوة

لما أمر ربنا نبيه ﷺ بالجهر بالدعوة ما تردد وما خاف من القوم وما فكر في النتائج التي قد تؤثر على راحته أو تكون خطراً على حياته ... لقد جهر بالدعوة وتحمل الأذى صابراً محتسباً .

الهجرة إلى الحبشة :

أشار النَّبيّ ﷺ على من آمن من أصحابه فتحملوا الأذى من قومهم أن يهاجروا إلى الحبشة ، وفيها ملك لا يُظلم عنده أحد ....

إنه موقف رحيم للرسول ﷺ ، وقد صدق ربنا سبحانه وتعالى إذ يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]، إنه موقف شجاع أيضاً ...

إنه ﷺ قد اختار الراحة والأمن لأصحابه ولم يفكر في حاجته إليهم قوة وسنداً ونصراً ومواساة وأنساً ...

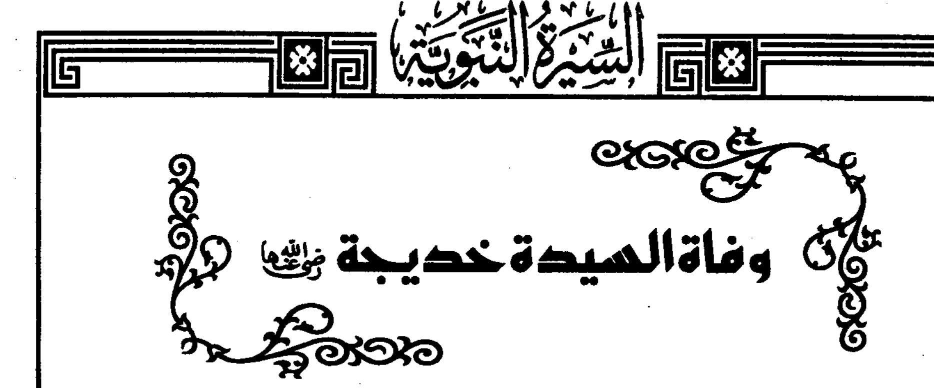
فهاجر إلى الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وكان ذلك بعد خمس سنين من البعثة النبوية الشريفة وكانت عودتهم إلى مكة بعد ثلاثة أشهر ، وكان على رأسهم عثمان بن عفان وزوجته رقية رضي الله عنهما ، بنت رسول الله ﷺ .

الهجرة الثانية إلى الحبشة

لما ضيق كفار قريش على المسلمين وقاطعوهم ، فلا يبيعون لهم ولا يشترون منهم وحصروهم في شعب أبي طالب أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية وكان على رأس المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، وكان عددهم نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة ، وقد انضم إليهم من أسلم من جهة اليمن وهم

الأشعريون : أبو موسى وبنو عمه ، أما قريش فقد أرسلت عمرو بن العاص « قبل إسلامه » مع جماعة ومعهم الهدايا للنجاشي ملك الحبشة بغرض إعادة المسلمين إلى مكة .

ولكن النجاشي أبىٰ ذلك لما استمع إليهم وعرف الإسلام الذي ينتسبون إليه ، وما لبث أن أسلم هو أيضاً بعد ذلك ، وعاد جعفر وأصحابه ﷺ إلى الرسول ﷺ وهو في المدينة في السَنَة السادسة من الهجرة وكان معهم سبعون رجلاً من النصارى ، أسلموا بعد لقاء الرسول ﷺ ، أما حصار الشِعب فقد استمر ثلاث سنوات .



وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها

وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وقد رزق منها الرسول ﷺ بأولاده جميعاً ما عدا إبراهيم وهم : عبد الله ، والقاسم ، وزينب ، وفاطمة ، ورقية ، وأم كلثوم ، وقد مات الذكور وهم في طفولتهم .

قال الله تعالى : ﴿ مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

ومن هذا يمكن أن نفهم المعانى الآتية :

[١] لا توريث للنبوة فمحمد ﷺ خاتم النبين .

[٢] لا توريث للحكم فقد جاء خلفاء الرسول ﷺ وتم اختيارهم على أساس الكفاءة وليس النسب .

[٣] يترك الأب ابناً يحمل اسمه وهذا في عامة الناس ، أما فيما يتعلق بالنبيّ ﷺ فقد رفع الله تعالى ذكره ، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] .

ولم يعش أحد من أبناء النَّبيّ ﷺ بعد وفاته إلا فاطمة التي لحقت به بعد شهور وكانت زوجة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

وأما زينب فكانت قد تزوجها العاصي بن الربيع ، وقد تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية فلما ماتت تزوج أم كلثوم ثم ماتت هى أيضاً ، فلم يكن ذلك سبباً في تشاؤم النَّبيّ ﷺ من عثمان كما يحدث لكثير من الناس ، ولكنه لو كان له ثالثة لزوجها عثمان لمعرفته ﷺ لقدر سيدنا عثمان رضي الله عنه .

زواجه ﷺ من سودة رضي الله عنها :

لقد حزن الرسول ﷺ على فراق خديجة رضي الله عنها التي

حملت معه أعباء الدعوة وأنجبت له البنين والبنات ، وطال حزنه ، فخشى عليه أصحابه وأشاروا عليه بالزواج فتزوج سودة ابنة زمعة العامرية القرشية ، بعد أن توفي عنها زوجها السكران بن عمرو .

زواجه ﷺ من عائشة رضي الله عنها :

وقد دخل عليها بالمدينة وكان زواجها بعد أن رأى في المنام ثلاث ليال يأتي بها الملك في قطعة من حرير ويقول له : [**هذه امرأتك**] ، فيكشف عن وجهها الثوب فيراها ، وأما الإمام الترمذي فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل جاء بصورتها في خرقة خضراء إلى الرسول ﷺ وقال له : [**هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**] ، والرسول ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها ، فكيف بعد ذلك يجعل المغرضون من زواج الرسول ﷺ غرض لسهامهم ، وما زوّجه إلا الله ـ تعالىٰ ـ .

وفاة أبي طالب :

وكان ذلك بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها بنحو شهر، وكان عمه أبو طالب يناصره ويدافع عنه ... وبوفاته زاد حزنه ﷺ وتجرأ عليه كفار قيرش يؤذونه ويتطاولون عليه .



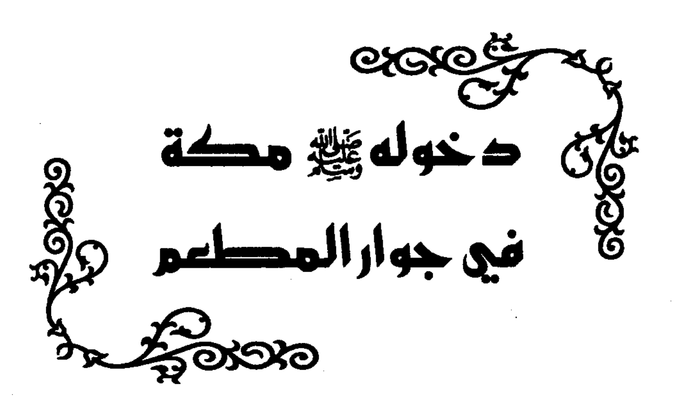


خروجه ﷺ إلى الطائف

الطائف على مسافة قريبة من مكة وهناك قبيلة ثقيف التي قابل رؤساءها الرسول ﷺ ودعاهم إلى الإسلام ولكنهم رفضوا دعوته وأغروا سفهاءهم وصبيانهم به فقذفوه بالحجارة حتى سال الدم من قدمه الشريف ، فاستظل بكرمة ودعا ربه فأرسل إليه عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بقطف من عنب من بستانهما مع مولاهما عدَّاس وكان نصرانياً ؛ فلما سمع الرسول ﷺ يقول : «**بسم الله**» قبل أن يأكل تعجب ، وأخبر النَّبيّ ﷺ أن أهل هذه البلاد لا يقولون ذلك ، فانتهز النَّبيّ ﷺ الفرصة ليصل إلى قلب عداس فحادثه ، يسأله عن بلده فعلم أنها « نينوى » فذكر له النَّبيّ ﷺ أنها بلد العبد الصالح

يونس بن متَّى ؛ فتعجب عداس لمعرفة النَّبيّ ﷺ ذلك ، فأخبره النَّبيّ ﷺ أنه نبي وأن يونس ابن متَّى كذلك ، فأسلم عداس وكان في إسلامه الغنيمة التي غنمها الرسول ﷺ من ذهابه إلى الطائف ، وجاء جبريل إلى النَّبيّ ﷺ يخبره باستعداده لإهلاك قومه ، وذلك بإذن من الله تعالى ، ولكن الرسول ﷺ قال : «**اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**» .

وبعد ... فإذا كان النَّبيّ ﷺ قد صبر على قومه ثم صبر على أهل الطائف ولم ييأس ولم يدفعه ذلك إلى الدعاء عليهم بل دعا لهم ؛ فإن على المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ فيتخلق بالصبر ويبتعد عن اليأس .



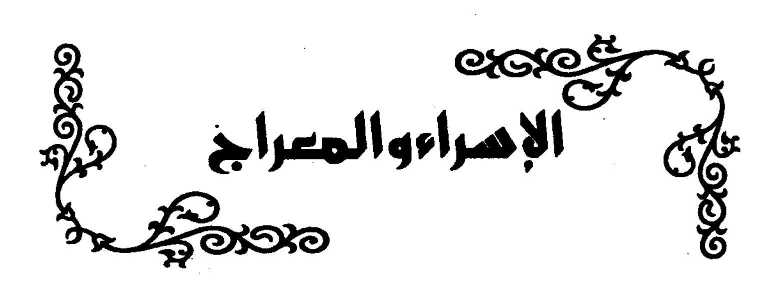
دخوله ﷺ مكة في جوار المطعم

قبل دخوله ﷺ أرسل إلى المطعم بن عدي أنه سيدخل مكة في جواره فوافق .

إنتشار الإسلام في قبيلة دوس :

جاء إلى الرسول ﷺ وهو في مكة الطفيل بن عمرو الدوسي عشيرة أبي هريرة رضي الله عنه وأسلم وذهب إلى قومه وقد دعا لهم الرسول ﷺ قائلاً : « **اللهم اهد دوساً** » فآمن كثير منهم .





وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ٦٢١ ميلادية أي قبل الهجرة بعام ، حيث أسرى بالرسول ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات السبع ثم سدرة « شجرة » المنتهى ، ثم العرش وكان جبريل معه كلما سمح له مقامه .

وقد وجد في السماء الأولى :

- سيدنا آدم عليه السلام .
- وفي الثانية : يحيى عليه السلام ، وعيسى عليه السلام .
- وفي الثالثة : يوسف عليه السلام .
- وفي الرابعة : إدريس عليه السلام .

■ وفي الخامسة : هارون عليه السلام .

■ وفي السادسة : موسى عليه السلام .

■ وفي السابعة : إبراهيم عليه السلام .

إنها التسرية عن رسول الله ﷺ لقد ألقى عن كاهله متاعب سنين مضت من الحزن والصد والمعاناة . . .

لقد استصغر كل أمر أرَّقه من قبل لما رأى كون الله الذي لا نهاية له وعرف ولمس قدرة الله تعالى الذي يقول للشيء [كن] فيكون . . . إنه يعود من هذه الرحلة العظيمة مرة أخرى إلى مكة أصلب عوداً ، وأكثر ارتباطاً بالقوة العظمى الوحيدة في هذا الكون . . . .

إنه يعود ومعه هدية عظيمة له ولأمته :

الصلاة ، التي فرضت هناك عند سدرة المنتهى في أعلى عليين حيث نور العرش واجتماع الملائكة إنه يعود بصلاة تصله دائماً بخالقه ، إنها معراج كل مؤمن . . .

يعود ﷺ ليخبر « قريش » فيكذبوه ويصف لهم المسجد الأقصى ويظل كافرهم على كفره وأبو بكر يسمع ويكرر : صدقت ... صدقت ... ويسمى من بعد بالصديق .

بيعة العقبة الأولى :

في موسم الحج سنة ١١ هـ من النبوة أسلم ستة نفر من أهل يثرب وترتب على ذلك أن جاء في الموسم التالي اثنا عشر رجلاً إلى الرسول ﷺ عند العقبة بمنى فبايعوه على الإيمان بالله وطاعة رسوله ﷺ ؛ فأرسل معهم إلى يثرب « المدينة » مصعب بن عمير رضي الله عنه أول سفير لتعليم الإسلام ونشره ، وكان يعرف هناك بالمقرئ ، وفي هذا تأكيد على أهمية حفظ القرآن وتجويده وتلاوته ، بالنسبة لمن يدعو إلى الإسلام .

بيعة العقبة الثانية (البيعة الكبرى) :

وكانت في موسم الحج سنة ١٣ من البعثة ٦٣٢م ،

حيث حضر ثلاثة وسبعون رجلاً من أهل يثرب ومعهم امرأتان .

وكانت بنود البيعة هى:

- الطاعة في كل الأحوال .
- النفقة في العسر واليسر .
- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- القيام على أمر الله غير ملتفتين للوم لائم .
- نصر رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى المدينة .
- الجنة جزاء تنفيذ بنود هذه البيعة .

وقد تم انتخاب ١٢ زعيماً من الحاضرين أُسند إليهم مسئولية تنفيذ قومهم للبيعة .

الإذن بالهجرة :

أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة

« يثرب » لأنها أصبحت المكان الأكثر أمناً ، فضحى المسلمون بدورهم وما لهم وتركوا الأهل والمكان الذي فيه درجوا وألفوا ويكفيهم أن يعيشوا الإسلام في رحاب مجتمع المسلمين .

المؤامرة :

اجتمع زعماء قريش في دار الندوة ، وكان ذلك بعد بيعة العقبة الكبرى بشهرين ونصف ، وقد عرضت اقتراحات منها : طرد النَّبيّ من مكة ولكنهم خافوا أن يدعوا آخرين ويحاربهم بهم ومنها حبس النَّبيّ ، وقد اقتنعوا بعدم جدوى ذلك ، فاستقر رأيهم على قتل النَّبيّ ﷺ ، واختاروا لذلك شاباً من كل قبيله حتى يتفرق دمه في القبائل [1] .

---

(١) أي لا تستطيع قبيلته « بنو عبد مناف » محاربة جميع القبائل فتقبل الدية التي توزع علي القبائل .

هجرة النبي ﷺ

[صفر ١٤من البعثة ـ سبتمبر ٦٢٢ م]

أخبر جبريل عليه السلام النبيّ ﷺ بالمؤامرة وأمره بالهجرة وذلك بأمر من الله تعالى ؛ فذهب الرسول ﷺ يرتب أمر الهجرة مع الصديق أبي بكر في الظهيرة، وفي ظلام الليل خرج النَّبيّ ﷺ من بيته يخترق صفوف المتربصين به يلقي على وجوههم التراب وقد ألقى عليهم الله النوم ، ويذهب إلى دار أبي بكر ويأخذه إلى غار ثور في اتجاه اليمن ، وقد ترك للفدائي العظيم على بن أبى طالب رضي الله عنه الأمانات التى كانت عنده يردها لأصحابها وينام على فراشه حتى يظن القوم أن النبى في مكانه . . . .

إن الأمانة هى الصفة الأولى التى يتحلى بها كل من

حمل رسالة السماء وهذه قريش لا تؤمن بالنبى ولكن لا تشك في أمانته ولا ترى أحداً أكثر منه أمانة فتضع عنده ما تخاف عليه . . . .

وتتجلى صفة الذكاء والفطنة في رسول الله ﷺ عندما يتجه إلى الجنوب أولاً ، لعلمه أن القوم سيتجه بصرهم إلى الشمال .

وأما الصديق رضي الله عنه فإن خوفه على الرسول ﷺ جعله في حالة السير يكون في الجهة التى يتوقع منها الخطر ثم يسبق إلى الغار «غار ثور» ويسد ثقبين فيه برجليه حتى يلدغ . . . .

وبقيا في الغار ثلاث ليال ، وكان عبد الله بن أبى بكر رضي الله عنه يذهب إلى مكة ويعود إليهما بالأخبار ، وكان عامر بن فهيرة يتردد عليها بغنمة ، فيمحوا أثر قدمى عبد الله ويسقيهما لبنا ، وكانت أسماء رضي الله عنها تأتيهما

بالطعام . . . .

وأما قريش فقد وضعت جميع الطرق تحت المراقبة ، ورصدت مائة ناقة مكافأة لمن يعيد محمداً ﷺ وصاحبه إلى مكة. . .ووصل المطاردون إلى باب الغار فرأوا العنكبوت عليه وحمامتين وَحْشِيَتَيْن [1] ، على فمه فرجعوا.

فانظر إلى عناية الله تعالى وحفظه لنبيه ﷺ ، هو القائل في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج:٣٨] .

وتأمل قول الله تعالى :﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة : ٤٠] .

---

(١) أي غير مستأنستين .

وقد جاء إليهما عبد الله بن أريقط الليثي براحلتين وكان هو دليلهما على الطريق حتى وصلا المدينة ، ولقد لحق بهما سراقة بن مالك في الطريق وقد أغرته مكافأة قريش ولكنه لم يظفر بهما إذ غاصت قوائم فرسه في الرمال فعاد إلى مكة بعد أن رأى حماية الله تعالى لنبيه وعلم أنه منصور ووعده الرسول - ﷺ - بسواري كسرى ، فأخذهما في عهد عمر وصدق نبوءة الرسول - ﷺ - .

وقد مر الرسول - ﷺ - بخيمة لأم مِعْبد الخزاعية وبها شاة لم تستطع السير مع الغنم لضعفها فمسح الرسول - ﷺ - على ضرعها وهو يسمى الله ويدعو حتى صار في ضرعها اللبن فحلب وسقى أم معبد وسقى رفقاء سفره وترك البقية لأبى معبد ، فكان في ذلك معجزة أضيفت إلى معجزات الرسول - ﷺ - المادية التي لا تحصى .

وكان ممن خرج في طلب النَّبيّ طمعاً في مكافأة قريش أبو بريدة وقد أسلم مع سبعين رجلاً من قومه بعد

حديثه مع النَّبيّ ﷺ ، وقد زحفت المدينة كلها لاستقبال النَّبيّ ﷺ وقد نزل بقباء حيث لحقه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقد جاء ماشياً ، فانظر إلى عظيم كفاح الصحابة الأجلاء . . . .

وأسس النَّبيّ ﷺ بقباء أول مسجد ثم سار فصلىٰ الجمعة ومعه مائة رجل فيهم أخواله من بني النجار ، وذلك في بني سالم بن عوف وبعد ذلك دخل المدينة وسط ترحيب أهلها وأناشيدهم وكان لا يمر بدار إلا حاول أهلها استضافته ﷺ وهو يقول : [**دعوا الناقة فإنها مأمورة**] حتى بركت في الموضع الذي فيه مسجد الآن وهى أرض لبني النجار ، ونزل ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري ، وقد شارك ﷺ في بناء المسجد بنفسه بعد أن رفض أن يأخذه أرضه هدية بغير ثمن ، وكانت هذه الأرض ملكًا ليتيمين .

ومن أهم دروس الهجرة ما يأتي :

[١] أن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ، وذلك واضح في حماية الله تعالى لنبيه فما مسه سوء رغم كثرة الطلب عليه وتربص أعدائه به ولم يكن معه من قوة أو جيش يحميه .

[٢] أن المسلم يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله تعالى ، وهذا ما فعله الرسول ﷺ وكان واضحاً في أحداث الهجرة ، فقد اتخذ الدليل للطريق وأعد الراحلة وقام بالإخفاء والتمويه : أما الإخفاء فهو واضح في اختفائه في الغار ، وأما التمويه فهو في اتجاهه إلى الجنوب صوب اليمن أولاً ليضلل الطالبين له ، وفي تركه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ينام على فراشه ، فيوهم الكفار بأنه لم يترك داره .

[٣] أن المسلم يحرص على رد الأمانات ، حتى ولو

لأعدائه وهذا ما فعله الرسول ﷺ عندما ترك مهمة رد الأمـــانات لعليّ بن أبي طالـب رضي الله عنه ، وفي هـذا تحرى العدل حتى مع الأعداء ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّه شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا** ﴾ .

[الآية ٨ : المائدة] .



حياة النبى ﷺ في المدينة

ظلت فكرة المدينة الفاضلة خيالاً يداعب عقول الأدباء والعلماء حتى جاءت مدينة رسول الله ﷺ حقيقة واقعة ، وكيف لا وهي المدينة التي حُكم فيها بالوحي المنزل وعاش فيها المسلمون في أخوة وحب ، ومن هذه المدينة الفاضلة انتشر النور إلى جميع بقاع الأرض ...

وقد وصل الرسول ﷺ بالمسلمين إلى هذه النتائج بعد جهد جهيد :

[١] بدأ ﷺ أعماله في المدينة ببناء المسجد وهو الدعامة الرئيسية لعمله ﷺ ولأعمال المسلمين وحركتهم ففي المسجد العبادة والعلم وتنظيم الحياة والجيوش والمشورة وأخذ الرأي والألفة والترابط

والحب ، وكل ما تقدم يشكل المفردات الرئيسية لأي بناء قوى .

[٢] آخي ﷺ بين الأوس والخزرج القبيلتين من سكان المدينة ، وقد طال بينهما النزاع والحروب ثم آخي بين المهاجرين والأنصار، فجمع بذلك قوة عظيمة .

[٣] أقام معاهدة مع ساكني المدينة من اليهود تضمن لهم حرية العقيدة والأمان على أنفسهم وأموالهم ، وتطالبهم بالاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن المدينة ضد أي مهاجم (١) .

[٤] أظهر بعض الكفار الإسلام وأبطنوا نفاقاً لما رأوا قوة المسلمين وإسلام الأكثرين من أهل المدينة وكان على رأس هؤلاء عبد الله بن أُبي بن سلول .

---

(١) نقض اليهود هذه المعاهدة عندما أعانوا الكفار من قريش والقبائل التي جاءت إلي المدينة للهجوم عليها في غزوة الأحزاب ، وهذا قادم في صفحات مقبلة .

وقد تعامل معهم الرسول ﷺ بحكمة وحذر فبإعلانهم الإسلام حقنوا دماءهم ، وأما مكرهم وكيدهم في الخفاء ، فقد جعل الرسول والمسلمين على يقظة دائمة وما نامت عيونهم عنهم وإن كان رب العزة قد أحاط بمكرهم ورد كيدهم إلى نحورهم ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠].

أما قريش فإنهم لم يغفلوا عن المسلمين طرفة عين ، بل إنهم عملوا على الكيد لهم ومحاولة التخلص منهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . . . لقد أرسل كفار قريش إلى أبي ابن سلول يهددونه بالزحف عليه وقتاله ، إن لم يقاتل المسلمين ، ويطردهم من المدينة ، وكان ذلك بعد وصولهم إليها . . وأمثال هذه الحادثة كثير حتى أن رب العزة سبحانه وتعالى أذن للمسلمين في القتال، وقد زعم قوم أن الإسلام قد انتشر بالسيف وهذا قول فيه

مغالطة كبيرة وبعد عن الصواب ... لقد فرض القتال للدفاع عن المسلمين ومقدساتهم ، ولتحطيم الواجهة التي تمنع وصول الإسلام إلى العامة ، وكان رسول الله ﷺ يقول دائماً : « **خلوا بيني وبين الناس** » .

وقد انتشر الإسلام بوصول الدعوة إلى آذان الناس، وأما القلوب التي أغلقت على الكفر فلا سبيل للسيوف على أصحابها، وبذلك بقى في بلاد المسلمين من يدين بغير الإسلام وهو آمن على نفسه وماله وعقيدته .



لابد من الوقوف بحياد وموضوعية أمام غزوات النَّبِيّ - ﷺ - حتى نراها على حقيقتها بغير هذا الغبار الذي نثر عليها بفعل الزمن أو بأيدي المغرضين.

وإليك أسباب هذه الغزوات :

[١] غزوة بدر الكبرى :

كان سببها محاولة المسلمين الاستيلاء على قافلة قريش التجارية تعويضًا لما فقدوه في مكة عند الهجرة ، وقد نجت القافلة ولكن كفار قريش أصروا على القتال ، وقد قبل المسلمون الفداء لأسرى المشركين وعلموا على عدم قتلهم .

[٢] غزوة أحد :

أصر كفار قريش على أخذ الثأر وجاءوا للهجوم على المدينة ، وقد وقعت المعركة على بُعد كيلومترات قليلة منها .

[٣] غزوة بني قينقاع :

والسبب المباشر لها هو ما حدث من اليهود من عدوان على عرض امرأة مسلمة ، كشفوا سوأتها بحيلة خسيسة فدافع عنها رجل مسلم ، فقتل اليهوي فقتلوه .

[٤] غزوة بني النَّضير :

وكانت بسبب محاولة اليهود قتل النَّبِيّ ﷺ بإلقاء صخرة فوقه من فوق سطح أحد منازلهم غدراً وعدوانا .

[٥] غزوة ذات الرِقاع :

علم الرسول ﷺ بأن بني المصطلق يتجهزون لقتال المسلمين فسبقهم .

[٧] غزوة الأحزاب :

جمع قريش القبائل للهجوم على المدينة وكان المسلمون في موقع الحصار والدفاع .

[٨] غزوة بني قريظة :

بنو قريظة نقضوا عهدهم الذي يقضي باشتراكهم مع المسلمين في الدفاع عن المدينة ؛ بل كانت خيانتهم ومحاولتهم القضاء على المسلمين مع قريش والأحزاب .

[٩] غزوة « أو صلح » الحديبية :

وكان من المسلمين التنازل والتسامح وقبول الصُّلح بشروط مجحفة من أجل السلام .

[١٠] غزوة خيبر :

استعد اليهود لقتال المسلمين لظنهم أن رضاهم بالشروط المجحفة لصلح الحديبية كان عن ضعف منهم ، فأرادوا انتهاز الفرصة .

[١١] غزوة مؤته :

أرسل الرسول - ﷺ - إلى الحارث الغساني ملك الغساسنة الخاضعين للروم يدعوه إلى الإسلام فقتله ، فكان هذا سبب الغزوة .

[١٢] فتح مكة :

وما تحرك الرسول - ﷺ - إليها إلا بعد أن نقضت قريش صلح الحديبية .

[١٣] غزوة حنين :

لما فتح المسلمون مكة جمع مالك بن عوف « هوازن » و« ثقيف » للهجوم على المسلمين فكان لابد من القتال .

[١٤] غزوة تبوك :

دفع هرقل ملك الروم رواتب جنده لعام مقبل ، وجهزهم للزحف على المسلمين .

من العرض السابق يتبين أن المسلمين كانوا دائمًا في

موقف والمدافع فكيف يكال لهم الاتهام بغير حساب ، إن هذا يدل على قراءة غير صحيحة للتاريخ ، أو فهم مجانب للصواب ، أو العمل على المغالطة والكيد للمسلمين وتشويه صورتهم ، مع العلم أن هذه الغزوات قد أعمل فيها قوانين فريدة لا نظير لها في أي من الحضارات التي يُتشدق بها :

■ فلا قتل لشيخ أو طفل أو امرأة ، أو رجل غير محارب أو عابد ، أو قطع شجرة ، أو تدمير أو تخريب ، أو إفساد أو تتبع لفارّ ، أو قتل لمعاهد أو طالب للأمان ، أو اللجوء ، أو معلن للإسلام ولو تقية أو نفاقًا ؛ فأين هذا في مجتمعات الحضارة وجيوش المدينة شرقها وغربها وقديمها وحديثها ؟!! .

إن ضعف المسلمين سوغ لأعدائهم قلب الحقائق واتهام الأبرياء وتبرئة المتهمين ، وجعل الأبطال مجرمين

وجعل المجرمين أبطالاً ، ظنًا منهم أن المسلمين قد ناموا أو ماتوا ، أو على الأقل نجحت فيهم كل دعوة باطلة أرادها وروَّج لها كل عدو للإسلام ، وهذه نتيجة وثمرة مُرَّة من ثمار السعي الدؤوب خلف كل داعٍ للحضارة والمدنية مهما كان مذهبه أو مشربه أو مطلبه دون الرجوع إلى ضوابط الإسلام وثواب المسلمين و فطنتهم .

إن نفراً من المسلمين ولَّوا وجوههم قِبْلَ المغرب واستساغوا طعام موائدهم وشربوا مشاربهم وتكلموا بلسانهم وعملوا لحسابهم ، بل وحاربوا حربهم وبسلاحهم .

إن الإسلام لا يرفض الحضارة ، وإنما يرفض الزيف والمغالطة وذوبان الهوية وعمل الببغاوات ، وانسياق القطيع والعقل الجمعي الموجه ، وبعد فإلى مسيرة التاريخ .





من أجل تأمين المدينة عقد الرسول ـ ﷺ ـ المعاهدات مع القبائل المجاورة وأرسل سرايا الاستطلاع التي ركزت عيونها على الطرقات المؤدية إلى المدينة .... .

[١] سرية سيف البحر :

كانت في رمضان سنة ١ هـ ، وكان أميرها حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثون رجلاً من المهاجرين لاعتراض عير لقريش ، ولكن لم يحدث قتال ، إن المهاجرين بهذا يحاولون استرداد بعض ما فقدوه في مكة .

[٢] سرية رابغ :

كانت في شوال سنة ١ هـ ، وكان أميرها عُبيدة بن الحارث ومعه ستون من المهاجرين للقاء أبي سفيان وهو

في مائتين من رجاله ، ولم يقع قتال .

[٣] سرية الخرار :

كانت في ذي القعدة سنة ١ هـ ، وأميرها سعد بن أبي وقاص ومعه عشرون راكباً يعترضون عيراً لقريش ولم يدركوها .

[٤] غزوة الأبواء أو ودان :

وكانت في صفر سنة ٢ هـ ،حيث خرج الرسول ـ ﷺ ـ بنفسه ومعه سبعون من المهاجرين لاعتراض عير قريش ولم تحدث معركة ، وفي هذه الغزوة عقد ـ ﷺ ـ معاهدة حلف مع عمرو بن مخش الصخري سيد بني ضمرة (١) .

[٥] غزوة بواط :

كانت في ربيع الأول سنة ٢ هـ ، حيث خرج النَّبيّ ـ ﷺ ـ في مائتين من أصحابه لاعتراض عير لقريش ولم

---

(١) انظر الرحيق المختوم .

تحدث معركة .

[٦] غزوة سفوان :

كانت في ربيع الأول سنة ٢ هـ ، خرج النَّبيّ - ﷺ - في سبعين من أصحابه لمطاردة كرز بن جابر الفهري الذي أغار على مراعي المدينة ، ونهب بعض المواشي ولم يدركه (١) .

[٧] غزوة ذي العشيرة :

كانت في جمادي الأولى سنة ٢ هـ ، وقد خرج رسول الله - ﷺ - في مائتين أو أقل قليلاً لاعتراض عير لقريش ذاهبة إلى الشام وهي العير التي تسببت في غزوة بدر بعد رجوعها من الشام ، وفي هذه الغزوة عقدت معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة .

(١) انظر الرحيق المختوم .

[٨] سرية نخلة :

كانت في رجب سنة ٢ هـ ، وأميرها عبد الله بن جحش الأسدي في اثنى عشر رجلاً من المهاجرين وقد قتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان ، وأنكر عليهم الرسول ـ ﷺ ـ ذلك لقتالهم في الشهر الحرام ، واتخذ المشركون فرصة في ذلك للنيل من المسلمين والإسلام إلى أن نزل قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، وقد أطلق الرسول ـ ﷺ ـ سراح الأسيرين وأدى دية المقتول إلى أوليائه [١] .

---

(١) انظر زاد المعاد (٢ /٨٣، ٨٤ ، ٨٥) ، وابن هشام (١ /٥٦١ : ٦٠٥) ، ورحمة للعالمين (١ /١١٥ / ١١٦، ٢ /٦١٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠) .

غزوة بـــدر :

خرج الرسول ﷺ من المدينة ومعه « ٣١٤ رجلاً » تقريباً وفرسان وسبعون بعيراً لاعتراض عير قريش القادمة من الشام وقد قسم الرسول الجيش إلى كتيبتين إحداهما للمهاجرين والأخرى للأنصار ، وقد جعل الرسول ﷺ قيادة ميمنة جيشه للزبير بن العوام ، وقيادة الميسرة للمقداد بن عمرو وهما صاحبا الفرسين ، وجعل المؤخرة بقيادة قيس بن أبي صعصعة ، وأما القيادة العامة فكانت في يده ﷺ .

وقد أرسل أبو سفيان زعيم قافلة قريش إلى مكة من يخبرهم بضرورة الإسراع إليه لانقاذ القافلة ، وتوجه بعيره إلى طريق ساحل البحر الأحمر فأفلت من المسلمين ، وخرج من مكة ألف وثلاثمائة مقاتل ومعهم مائة فرس بقيادة أبي جهل بن هشام ولما علموا بنجاة القافلة رجع

بنو زهرة وعددهم ثلاثمائة رجل وأصر الباقون على القتال ، وشاور الرسول ﷺ أصحابه فوجد منهم العزم والشجاعة فتحرك بالجيش نحو ماء بدر ونزل قريباً منه فقام الحباب بن المنذر يشير على رسول الله ﷺ أن ينزل بالجيش في مكان آخر ليحول بين جيش قريش وبين الماء ففعل وحاول أفراد من المشركين الشرب من البئر فقتلهم المسلمون ، ولم ينجو منهم إلا حكيم بن حزام الذي أسلم بعد ذلك .

وبدأت المبارزة التي قتل فيها ثلاثة من فرسان قريش هم : عتبه وأخوه شيبه ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، فغضب المشركون وبدأ هجومهم ثم قام المسلمون بهجوم مضاد ، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين هزيمة ساحقة ، وقدا ستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً أما المشركون فقد قتل منهم سبعون ،

كما أسر منهم سبعون ، وقد استشار الرسول ـ ﷺ ـ أصحابه في شأنهم،فأشار الصديق بأخذ الفدية منهم وإطلاق سراحهم ، وأشار الفاروق عمر بقتلهم ، وأخذ النبيّ ـ ﷺ ـ برأي الصديق وهذا موافق لما جبل عليه الرسول ـ ﷺ ـ من الرحمة ولكن الوحي نزل على رأى عمر، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

وأما من لم يكن معه مال يفتدي به نفسه ، فإنه يعلم عشرة من أهل المدينة القراءة والكتابة ، وقد مَنَّ الرسول ـ ﷺ ـ على عدد من الأسرى فأطلقهم بغير فداء ومنهم : المطلب بن حنبل ، وصيفي بن أبي رفاعة ، وأبو عزه الجمعي ، وأبو العاص زوج زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ على أن يخلي سبيلها ففعل ، وكانت قد بعثت بقلادة لها كانت عند السيدة خديجة رضي الله عنها لفداء زوجها أبي العاص ، فلما رآها الرسول ـ ﷺ ـ رق لها ،ولكن لم يفرض

على المسلمين أن يردوها إلى ابنته زينب مع ترك زوجها الأسير ، ولكن قال : « **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا** » .

إن الرسول ـ ﷺ ـ ترك الأمر في يد المسلمين ، وظل هو على حياد كامل ، ولم يجعل عواطفه نحو ابنته تحكم القضية ... وفعل المسلمون ما يحبه الرسول ـ ﷺ ـ ، وفي مقابل ذلك أطلق أبو العاص زينب لتذهب إلى أبيها ـ ﷺ ـ في المدينة ، ثم أسلم بعد ذلك .

وفي السنة الثانية من الهجرة فرض صيام رمضان وفرضت زكاة الفطر وكان أول عيد للمسلمين في شوال سنة ٢ هـ بعد انتصار بدر العظيم .

غزوة بني سليم :

بعد غزوة بدر مباشرة ، حشد بنو سليم من قبائل غطفان قواتهم لغزو المدينة فهجم عليهم النَّبيّ ﷺ وفاجأهم في عقر دارهم ، وكان معه مائتا راكب ففروا ،

وكان ذلك في شوال سنة ٢ هـ .

إسلام عمير :

جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أميه واتفقا على أن يقتل عمير محمداً - ﷺ - ويقضي صفوان عنه دينه ويتكفل بأبنائه ... وذهب عمير إلى المدينة وأُخذ إلى رسول الله - ﷺ - فسأله عن سبب حضوره ، فقال : « الأسير الذي بأيدكم » يقصد ابنه ، فأخبره النبيّ - ﷺ - بالحوار الذي دار بينه وبين صفوان ولم يكن معهما ثالث فأسلم لتيقنه أنه لا أحد أخبره إلا الله فأطلق له أسيره ، وعاد إلى مكة فأسلم على يديه الكثير .

غزوة بني قينقاع (١٥ شوال سنة ٢هـ) :

لم يكف اليهود عن الكيد للمسلمين رغم وجود المعاهدة التي عقدها الرسول - ﷺ - معهم في مستهل وجوده في المدينة ، فقد حاولوا الإيقاع بين المسلمين من أوس وخزرج ففشلوا وغير ذلك كثير ...

لقد جلست يوماً امرأة مسلمة إلى صائغ يهودي فحاولوا كشف وجهها فأبت فربط الصائغ طرف ثوبها فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت فقفز رجل مسلم على اليهودي فقتله فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه ، فسار إليهم رسول الله ـ ﷺ ـ بجنده فتحصنوا بحصونهم فحاصرهم حتى نهاية الشهر ثم أخرجهم إلى الشام .

غزوة السويق (ذي الحجة سنة ٢ هـ) :

خرج أبو سفيان في مائتي راكب وأغار على ناحية من المدينة فقطع وأحرق بعض النخيل وقتل رجلين وفر بعد ذلك إلى مكة وطارده الرسول ﷺ وأخذ المسلمون ما تركه هو وأصحابه من سويق وغيره .

غزوة ذي أمر (محرم سنة ٣ هـ) :

عند مكان يسمى بذي أمر تجمع بنو ثعلب ومحارب للإغارة على أطراف المدينة فخرج إليهم الرسول ﷺ في أربعمائة وخمسين مقاتلاً فتفرقوا في رءوس الجبال ولم

يثبتوا للقائه .

قتل كعب بن الأشرف :

كان من أشهر اليهود عداوة للإسلام وإيـذاء للرسـول ـ ﷺ ـ فأرسل إليه محمد بن مسلمة ومعه عباد بن بشر وأبو نائله والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبير فقتلوه .

غزوة بحران (ربيع الآخر سنة ٣ هـ) :

قاد الرسول ـ ﷺ ـ ثلاثمائة مقاتل إلى أرض يقال لها بحران ، ثم رجع بغير لقاء مع العدو .

سرية زيد بن حارثة (جمادي الآخرة سنة ٣ هـ) :

أرسل رسـول الله ـ ﷺ ـ مـائة راكب بقـيـادة زيد بن حارثة فانقضوا فجأة على قافلة لقريش بقيادة صفوان بن أمية كانت آخذه طريق الساحل الشرقي إلى العراق ثم الشام ففر حراسها ووقعت في أيدي المسلمين ، وأما دليل القافلة فقد أسر فأسلم وهو فرات بن حيان .

غزوة أحـــد (شوال سنة ٣ هـ) :

أراد الكفار الانتقام من المسلمين وأخذ ثأر قتلى بدر ، وقد رصدوا أموال قافلة أبي سفيان لهذا الغرض فجهزوا ثلاثة آلاف مقاتل ، وثلاثة آلاف بعير ، ومئتا فرس [١] ، وسبعمائة درع وكان قائد الجيش أبا سفيان بن حرب ، وتحرك الجيش وعيون المسلمين ترصده حتى صار على مقربة من المدينة .

وقد رأى الرسول ـ ﷺ ـ أن يظل المسلمون في المدينة لقتال الكفار قتال المدن وفيه تكون الخسارة كبيرة على المهاجم ، ولكن الذين فاتهم شرف الجهاد في بدر ألحوا بطلب الخروج ،ونزل الرسول ﷺ على رأي الأغلبية ولبس لباس الحرب ، فشعروا أنه قد أُكره على الخروج فعادوا يطلبون منه البقاء وتنفيذ ما رأى ولكنه أبى وجهز ألف

---

(١) في فتح الباري : مائة فرس (٧/٣٤٦) .

مقاتل ، وخرج وقبل أن يصل إلى أحد انسحب من الجيش عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلاثمائة مقاتل بحجة أن الرسول - ﷺ - خالف مشورته وكان لهذا الانسحاب خطره لأن الجيش كان في مجال بصر جيش قريش وأيضاً أدى ذلك إلى أن همت طائفتان من الأوس إحداهما ومن الخزرج الأخرى بالإنسحاب، لولا أن ثبتهما الله تعالى .

واختار النّبيّ - ﷺ - مكاناً لجيشه بحيث يكون جبل أحد في ظهره فلا يأتيه العدو من الخلف ثم اختار خمسين من أمهر الرماة جعل قائدهم عبد الله بن جبير وأمرهم أن يثبتوا فوق جبل - عرف فيما بعد باسم جبل الرماة - لحماية ظهر الجيش ومنع فرسان العدو من الالتفاف من خلفه وأكد على عدم تركهم لأماكنهم مهما حدث من نصر أو هزيمة حتى يرسل إليهم .

ولقد اختار الرسول - ﷺ - الموقع الأفضل برغم أن العدو قد جاء إلى المكان قبله ، وأما الرماة فقد أبلوا بلاءً حسناً في المعركة فقد صدوا هجمات الفرسان برئاسة خالد بن الوليد ثلاث مرات .

وأما بقية الجيش فقد أسفرت شجاعته وتضحياته وقتاله المنقطع النظير - رغم قلة العدو والعدة - عن نصر على المشركين ففروا تاركين خلفهم الغنائم فظن أربعون من الرماة أن المعركة قد انتهت فنزلوا لجمع الغنائم فحذرهم قائدهم ابن جبير وذكرهم بأمر رسول الله - ﷺ - وثبت هو وتسعة من أصحابه ينتظرون أمر الرسول - ﷺ - أو الموت حتى جاء خالد بن الوليد بفرسانه وقضى عليهم والتف حول جيش المسلمين وحوّل نصرهم إلى هزيمة ، بل وكاد يصل إلى رسول الله - ﷺ - الذي انكشف عنه الجيش ، وفر من فر وما بقى معه إلا تسعة من أصحابه ،

فما حاول - ﷺ - النجاة بنفسه ومن معه ولكنه وقف ينادي أصحابه والمشركون يسمعونه ويسبقون إليه .

وقد أشيع أن النَّبيّ - ﷺ - قد قُتل فألقى البعض السلاح ويئسوا وقال الآخرون : وما حياتنا بعد رسول الله - ﷺ - ؟،نقاتل ونموت على ما مات عليه ، وقد استشهد سبعة من التسعة الذين كانوا حول رسول الله - ﷺ - واختلط الحابل بالنابل حتى قتل بعض المسلمين بعضاً ، ولكن طائفة من المسلمين على رأسهم - أبو بكر وعمرو وعليّ - كان همهم الرسول - ﷺ - تركوا أماكنهم في مقدمة الجيش والتفوا من حوله مدافعين عنه وقد أصيبت رباعيته وجرحت شفته وجبهته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وشجت رأسه وسقط في حفرة ثم تجمع المسلمون حول رسول الله - ﷺ - وصدوا هجمات الكفار ثم انتهت المعركة وعاد المسلمون إلى المدينة وقد استشهد

منهم سبعون ، أما الكفار فقد قتل منهم ما يزيد على ثلاثين رجلاً وفي اليوم التالي خرج النَّبيّ ﷺ مع من حضر غزوة أحد لمطاردة الكافرين حتى بلغوا حمراء الأسد .

سرية أبي سلمة (محرم ٤ هـ) :

أرسل رسول الله ﷺ مائة وخمسين مقاتلاً ، وعلى رأسهم أبو سلمة فباغت بني أسد في ديارهم فتشتتوا وعادت السرية إلى المدينة غانمة سالمة بغير قتال ، وكان بنو أسد قد دعوا إلى حرب النَّبيّ ﷺ بعد أُحد .

بعث عبد الله بن أنيس :

كان في ٥ من المحرم سنة ٤ هـ ، جمع خالد بن سفيان الهذلي الجموع لحرب المسلمين ، فأرسل إليه الرسول ﷺ عبد الله بن أنيس فأتى برأسه .

بعث الرجيع (صفر سنة ٤ هـ) :

جـاء إلى رسـول الله - ﷺ - قـوم من عـضل وقـارة يعلنون إسلامهم ويطلبون من يعلمهم الدين فأرسل معهم نفـراً من المسلمين فغدروا بهـم فقـتلوا جمـيعـاً - عليـهم رحمة الله - .

بئر معونة (صفر سنة ٤ هـ) :

بعث رسول الله سبعين رجلاً وكان أميرهم المنذر بن عمرو إلى أهل نجد في جوار أبي براء عامر بن مالك الذي تعـهـد بذلك الرسـول ﷺ ولما ذهبـوا إلى هناك قـتلهم جمـيعـاً بنو سليم وقد مر بهم عمرو بن أمية والمنذر بن عقبة فأسرعا لنجدتهم ، فأسر القوم الأول وقتلوا الثاني ثم ذهب عمرو فأخبر الرسول ﷺ .

غزوة بني النضير (ربيع الأول سنة ٤ هـ) :

استـمـر اليـهـود في الدس والتـآمـر على المسلمين ،

ولكنهم استكانوا بعد وقعة بني قينقاع ، وقتل كعب بن الأشرف ، ثم تجرأوا بعد أُحد واتصلوا بالمنافقين وأهل مكة سراً ، وكانوا يعلمون لصالحهم ضد المسلمين .

وبعد وقعة الرجيع وبئر معونة ، قاموا بمؤامرة للقضاء على النَّبيّ - ﷺ - حين ذهب إليهم ليعينوه في دية رجلين معاهدين قتلهما عمرو بن أمية ، حيث جاء جبريل ليخبر النَّبيّ بعزمهم على إلقاء حجر فوق رأسه وهو جالس بجوار جدار لهم فأرسل الرسول - ﷺ - أن اخرجوا من المدينة فتجهزوا للرحيل فجاءهم رسول أبي بن سلول يشجعهم على البقاء على أن يقاتل معهم فأرسلوا إلى النَّبيّ - ﷺ - يخبرونه برفضهم الخروج ، فحاصرهم النَّبيّ - ﷺ - فكانوا يرمون المسلمين بالنبل والحجارة من خلف نخيلهم ، فأمر الرسول - ﷺ - بتقطيعها ثم أخرجوا فمنهم من ذهب إلى خيبر ومنهم من ذهب إلى الشام ،

وقد أسلم منهم رجلان : يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ... .وفي هذه الغزوة أُنزلت سورة الحشرة .

غزوة نجد :

خرج النبيّ - ﷺ - إلى نجد مع كثير من المسلمين ففر أهلها إلى الجبال ثم عاد إلى المدينة .

غزوة بدر الثانية (شعبان سنة ٤ هـ) :

خرج الرسول - ﷺ - في ألف وخمسمائة مقاتل إلى بدر ، وخرج أبو سفيان في ألفين من مكة وما جاوزها إلا لمسافة غير بعيدة ثم عاد وقد سيطر عليه الخوف من المسلمين بحجة أن هذا العام عام جدب .

غزوة دومة الجندل (ربيع الأول سنة ٥ هـ) :

خرج الرسول - ﷺ - في ألف من المسلمين إلى دومة الجندل قرب الشام لعلمه أن القبائل هناك حشدت جمعاً كبيراً لمهاجمة المدينة ففرت الجموع ورجع المسلمون إلى المدينة .

غزوة الأحزاب (شوال سنة ٥ هـ) :

خرج أبو سفيان في أربعة آلاف من قريش وكنانة وحلفائهم من أهل تهامة كما خرج بنو سليم وقبائل غطفان وبنو مرة وبنو أشجع وبنو أسد وغيرهم وتجمعوا عند المدينة وقد وصل عددهم جميعاً عشرة آلاف مقاتل، وكانت عيون المسلمون ترصد تحركاتهم من بدايتها، فبادر الرسول - ﷺ - بأخذ الرأي فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق ففعل وكان ذلك قبل وصول الجيش وموقعه شمال المدينة لأن الجهات الأخرى يحيط بها الجبال وبساتين النخيل، وكان الخندق مفاجأة للجيش وقد حاولوا اختراقه وقد بحث جماعة من الفرسان عن مكان ضيق من الخندق اقتحموا منه فتصدى لهم جماعة من المسلمين وفيهم عليّ بن أبي طالب الذي بارز أحد الفرسان وهو عمرو بن عبد ود فقتله وفر الباقون .

وكان المسلمون دائماً يصدون الكفار بنبالهم ، إذا حاولوا الاختراق أو ردم جزء من الخندق للمرور عليه وكان نتاج ذلك الكفاح – الذي استمر أياماً – قتل ستة من المسلمين وعشرة من الكفار أو يزيد .

أما اليهود فكانوا يمدون الكفار بالمؤن وقد أخذ المسلمون من مؤنهم عشرين جملاً ، وقد قتلت صفية عمة النبيّ - ﷺ - يهودياً كان يتجسس من خلف حصنها، وقد ظهر نقضهم للعهد في هذا الظرف الحرج ، ومن عجب أن يدخل في الإسلام رجل هو نعيم بن مسعود والمسلمون على هذه الحالة فيخفي إسلامه ويذهب إلى يهود بني قريظه ويشير عليهم أن يطلبوا رهائن من الكفار قبل أن يقاتلوا معهم ثم أخبر الكفار أن اليهود سيطلبون منكم رهائن ويدفعونها إلى النبيّ ﷺ فلما طلب اليهود الرهائن قام الخلاف بين الفريقين ، ثم أرسل الله تعالى

الريح تقتلع خيام الكفار وتقلب قدورهم وتبعثر متاعهم ، حتى تم النصر للمسلمين بعد حصار دام نحو شهر .

ومن هذه الغزوة نتعلم ما يأتي :

[١] النصر من عند الله وليس بكثرة العدد أو العُدَّة .

[٢] المسلم يأخذ بالأسباب الممكنة ، ويتوكل على الله تعالى بعد ذلك ، فالمسلمون أخذوا بالأسباب الآتية :

- رصد حركات العدو .
- حفر الخندق .
- الكفاح المستميت .
- حشد جميع عناصر القوة والمنعة .
- العمل على تفتيت القوى المعادية .
- الإخلاص في الدعاء والتضرع إلى الله .

[٣] الله تعالى يهدي من يشاء وهو القادر على ذلك ، فقد هدى نعيم بن مسعود والمسلمون في حالة لا تغري أحداً بالإسلام .

[٤] مهما اشتد الكرب فإن الفرج قريب .

[٥] إن الفرج بيد الله تعالى ولو أراده لسبب له الأسباب، التي قد تكون صغيرة كما حدث بالنسبة لإسلام نعيم ، وسعيه بين اليهود والكفار حتى وقع الخلاف بينهما ، وهو فرد واحد .

[٦] إن النصر مع الصبر .

[٧] إن قوة الإيمان هي الحصن الأول ولا تنفع الحصون بدونها .

[٨] إن الله غالب على أمره وناصر لرسله وجنده ، مهما نزلت بهم النوازل وضاقت بهم السبل وتحزب عليهم الناس : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ .

[آل عمران : ١٧٣، ١٧٤] .

غزوة بني قريظة (ذو القعدة سنة ٥ هـ) :

ذهب الرسول - ﷺ - في ثلاثة آلاف إلى بني قريظة ، وحاصرهم فألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكمه فوضع القيود في أيدي الرجال ، وأرسل إلى سعد بن معاذ فأتاه وهو جريح أصيب في غزوة الأحزاب ، وقد ارتضى اليهود حكمه ، فحكم بقتل الرجال وسبى الذرية وتقسيم الأموال ، فوافق هذا الحكم الوحي وكان ذلك جزاء الغادرين ؛ لقد وجد في ديارهم ألف وخمسمائة سيف وألفان من الرماح ، وثلاثمائة درع جمعوها لإبادة المسلمين فيضاف ذلك إلى ما قدموا سابقاً مما ملأ

صفحات تاريخهم المعتم .

مقتل سلام بن أبي الحقيق (ذو الحجة سنة ٥ هـ) :

كان ممن ألب الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال فذهب إليه خمسة رجال استأذنوا رسول الله - ﷺ - فقتلوه في حصنه بخيبر .

سرية محمد بن مسلمة (١٠ محرم سنة ٦ هـ) :

عددها ثلاثون رجلاً إلى أرض نجد قاصدين بني بكر ابن كلاب ، وقد عادوا بالغنائم بعد فرارهم .

غزوة بني لحيان (سنة ٦ هـ) :

خرج إليهم الرسول - ﷺ - في مائتين من أصحابه وهم « أي بنو لحيان » الذين غدروا بعشرة من أصحابه بالرجيع سنة ٤ هـ فلما علموا بمقدمه هربوا إلى الجبال .

سرية عكاشة (سنة ٦ هـ) :

قائدها عكاشة بن محصن ومعه أربعون رجلاً إلى

بني أسد وقد فروا وعادت السرية بمائتي بعير .

سرية محمد بن مسلمة إلي ذي القصة (سنة ٦ هـ):

عددها عشرة رجال إلى ديار بني ثعلبه وقد اختبأ القوم لهم وقتلوهم إلا بن مسلمة .

سرية أبي عبيـــدة بن الجراح إلي ذي القصة (ربيع الآخر سنة ٦ هـ) :

خرجت إلى حيث قتل أصحاب محمد بن مسلمة وقوامها أربعون رجلاً أغاروا على القوم ففروا .

سرية زيد بن حارثة (ربيع الآخر سنة ٦ هـ) :

خرجت إلى بني سليم وعادت بغنائم وأسرى .

سرية زيد بن حارثة إلى العيص (جمادى الأول سنة ٦ هـ) :

وقوامها سبعون ومائة راكب وقد أخذت عيراً لقريش يقودها أبو العاص زوج زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وقد

أعيدت العير إلى أصحابها وأسلم أبو العاص [1] .

ذلك أن أبا العاص أفلت من يد المسلمين ثم أتى زينب بنت رسول الله - ﷺ - ، فاستجار بها ، وسألها أن تطلب من رسول الله - ﷺ - رد أموال العير ؛ ففعلت ؛ فشاور الرسول - ﷺ - المسلمين فوافقوا ، فرد كل هذه الأموال ، صغيرها وكبيرها ، فانظر إلى سماحة الرسول - ﷺ - والمسلمين ، وكيف أنه لم يفرض رأيه في أمر يتعلق بابنته وزوجها ، ولكن ماذا فعل أبو العاص؟ ، رجع إلى مكة وأدى الودائع والأمانات إلى أهلها ثم أسلم وهاجر ؛ فرد عليه رسول الله ﷺ زينب .

سرية زيد (جمادي الآخر سنة ٦هـ) :

في وقوامها خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة ففروا وعادت بعشرين بعيراً .

---

(١) لمزيد من التفصيل اقرأ : الرحيق المختوم ص ٢٨٢ .

سرية زيد إلى وادي القري :

كانت في رجب سنة ٦ هـ ، وكانت للاستطلاع وقوامها اثنا عشر رجلاً قتل منهم تسعة حيث هجم عليهم سكان وادي القرى ، وأفلت ثلاثة فيهم زيد بن حارثة [١] .

سرية الخبط :

وأميرها أبو عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة ركب لرصد عير لقريش .

غزوة بني المصطلق (شعبان سنة ٦ هـ) :

حيث علم الرسول - ﷺ - أن رئيس بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار جمع قومه وغيرهم لحربه ، فأسرع مع المسلمين بالخروج إليهم فتراموا بالنبل ثم حمل عليهم

---

(١) لمزيد من التفصيل : انظر رحمة للعالمين : (٢ / ٢٢٦) ، زاد المعاد : (٢ / ٢٢٠) .

ففروا ، وكانت عائشة مع الرسول ﷺ في هذه الغزوة وقد تخلفت عن الجيش لبحثها عن عقد لأختها فمر بها صفوان بن المعطل ، فركبت راحلته ولم يكلمها ولم تسمع منه إلا قول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، وسار يقود الراحلة وكان حديث الإفك ثم نزول القرآن الكريم ببراءتها .

سرية عبد الرحمن بن عوف (شعبان سنة ٦ هـ):

توجهت إلى بني كلب بدومة الجندل فأسلموا وتزوج عبد الرحمن بنت رئيسهم « الأصبغ » .

سرية علي بن أبي طالب (شعبان سنة ٦ هـ):

كانت إلى بني سعد بن بكر بفدك بمائتي رجل أغاروا عليهم ففروا .

سرية أبي بكر الصديق (رمضان سنة ٦ هـ) :

كانت إلى وادي القرى حيث أن بطن فزارة كان يريد

اغتيال النبيّ - ﷺ - فشنت السرية الغارة عليهم وقتل من قتل ، وكان في السبايا « أم قرفة » وابنتها وهي من أحسن العرب ؛ فأعطاها سيدنا أبو بكر الصديق لسلمة ابن الأكوع رضي الله عنه الذي كان معه في هذه السرية .

فماذا فعل سلمة رضي الله عنه ؟ .

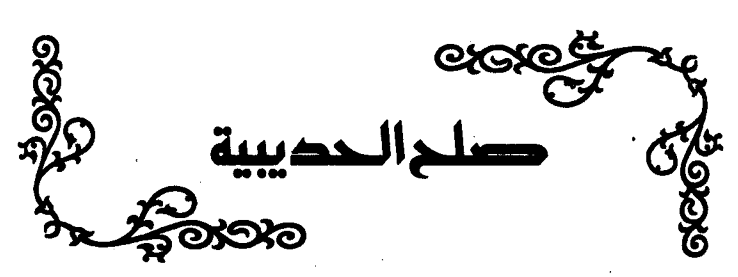
لم يكشف للفتاة الجميلة ثوبًا ؛ بل أعطاها للرسول - ﷺ - ليبعثها إلى مكة يفدي بها أسرىٰ من المسلمين هناك؟، فانظر كيف علَّم الإسلام المسلمين العِفة والإيثار ، وتغليب المصلحة العامة على الأغراض الشخصية .

سرية كرز بن جابر الفهري (شوال سنة ٦هـ):

كانت إلى العرنيين حيث أظهر الإسلام جماعة من عكل وعرينة ثم ارتدوا ، بعد أن أقاموا في مدينة رسول الله - ﷺ - ، وقد بعثهم إلى أحد المراعي بها ليأكلوا ويشربوا من الألبان ؛ فلما صحت أجسامهم قتلوا راعي

رسول الله - ﷺ - وأخذوا الإبل . . . .

هذا ولم تكن هذه السرايا إلا للاستطلاع حتى لا يؤخذ المسلمون على غِرَّة ، وما دار من قتال أو مناوشات لأهداف له إلا تأمين حياة المسلمين في مدينة رسول الله - ﷺ - . .



صلح الحديبية

اتجه الرسول - ﷺ - إلى مكة في ألف وأربعمائة ليس معهم من السلاح إلا السيوف وقد أحرموا بالعُمرة عند ذي الحليفة ، فمنعتهم قريش وأرسلت خالد بن الوليد بمائتين من الفرسان لهم ، وقد قام ما يزيد على سبعين من شباب قريش بالتسلل إلى معسكر المسلمين ، ولكن تم اعتقالهم ثم أطلق سراحهم بعد ذلك . . . .

وأرسل الرسول - ﷺ - عثمان بن عفان رضي الله عنه ليخبر القوم بما يريده المسلمون ، فأذنوا له أن يطوف بالبيت فرفض حتى يطوف رسول الله - ﷺ - .

ثم شاع بين المسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قُتِلَ ، فبايعوا رسول الله - ﷺ - على القتال ، وكانت هذه بيعة

الرضوان التي قال فيها ربنا : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] ، فأرسلت قريش سهيل بن عمرو لعقد الصلح .

فاتفق الطرفان على ما يأتي :

- يدخل المسلمون مكة للعمرة في العام القادم .
- هدنة بين الطرفين عشر سنين .
- من أحب من القبائل أن يعاهد أحد الطرفين فليفعل ويكون العدوان عليه عدواناً على من عاهده .
- من جاء إلى النبيّ - ﷺ - من قريش رده ، ومن جاء من النبيّ - ﷺ - إلى قريش لا يردونه .

وبعد كتابة هذه الاتفاقية تحلل الرسول - ﷺ - من الإحرام وحلق ونحر هديه ، وفعل المسلمون مثله ، وظن كثير من المسلمين أن في هذه الشروط الإجحاف والظلم للمسلمين ،ولكن أثبتت الأيام بعد غير ذلك ،

للأسباب الآتية :

■ لجوء قريش للصلح مع المسلمين اعتراف بقوتهم .

■ نسيت قريش زعامتها للعرب وتركت من شاء منهم أن يدخل الإسلام فحققت للمسلمين الهدف الذي ضحوا من أجله وهو حرية العقيدة ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وكانت الهدنة سبباً في ترك قريش لما تقوم به من صد عن سبيل الله .

■ لم يعد من حق قريش أن تصد عن المسجد الحرام إلا لمدة عام واحد .

■ من ارتد عن الإسلام فإن وجوده في قريش أقل خطراً على المسلمين من وجوده بينهم .

■ من دخل الإسلام من قريش ولم يضمه إليه رسول الله - ﷺ - تنفيذاً للمعاهدة قد جعل الله - تعالى - له مخرجاً .

حكاية أبي بصير :

أسلم أبو بصير وهو من ثقيف حليفة قريش فأرسلوا رجلين لرده فدفعه النَّبيّ - ﷺ - إليهم بسبب العهد الذي بينه وبين قريش ، فقتل أحد الرجلين وفر الأخر ، ثم صار كل من يسلم يلحق بأبي بصير، فلما كثر عددهم صاروا يعترضون عير قريش يأخذونها ويقتلون رجالها ، حتى أرسلت قريش إلى النَّبيّ - ﷺ - ترجوه ضم المسلمين ففعل (١) .

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة محرم (سنة ٧ هـ) :

أرسل النَّبيّ ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام كما أرسل إلى كثير من الملوك وذلك بعد الهدنة وجو

---

(١) انظر فتح الباري : (٧/٤٣٩) ، صحيح البخاري : (١ / ٣٧٨ ، ٢ / ٥٩٨) ، صحيح مسلم : (٢ / ١٤٠) ، وابن هشام : (٢/٣٠٨) ، وزاد المعاد : (٢ / ١٢٢) .

السلام بينه وبين قريش ، فأسلم ، ولما مات صلى عليه النبيّ ﷺ صلاة الغائب في رجب سنة ٨ هـ .

رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس ملك مصر :

لما أرسل النَّبيّ - ﷺ - رسالته إلى المقوقس أهدى إليه جاريتين إحداهما مارية التي تزوجها النَّبيّ - ﷺ - فولدت له إبراهيم ، وأما الأخرى فقد أعطاها لحسان بن ثابت وهي سيرين ، كما أهدى إليه بغلة ليركبها وبعض الأقمشة والملابس المصرية .

رسالة النبي ﷺ إلى كسري :

كتب النَّبيّ - ﷺ - إلى كسرى ملك الفرس كتاباً فمزقه فدعا النَّبيّ - ﷺ - أن يمزق الله ملكه فحدث وأما هو فقد وثب عليه ابنه فقتله .

رسالة النبي ﷺ إلى قيصر :

تلقى قيصر ملك الروم كتاب الرسول ﷺ وأكرم حامله ولولا كثرة اللغط وارتفاع الأصوات في مجلسه

بعد قراءته لكان له شأن آخر .

رسالة النبي ﷺ إلى حاكم البحرين :

كتب النَّبيّ ﷺ إلى حاكم البحرين المنذر بن ساوى فأسلم وأرسل إلى النَّبيّ ﷺ يسأله ماذا يفعل مع اليهود والمجوس بأرضه ؟ فأرشده أن يأخذ منهم الجزية .

وقد أرسل النَّبيّ ﷺ أيضاً إلى حاكم اليمامة وأمير دمشق وملك عمان وبهذا أبلغ الرسول ﷺ دعوته .

غزوة الغابة :

هي مطاردة ضد جماعة من بني فزارة قاموا بالاستيلاء على بعض العير وقتلوا راعيها .

غزوة خيبر محرم (سنة ٧ هـ) :

كانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع شمال المدينة على بعد يزيد على ستين ميلاً ، وكانت وكراً للدس والتآمر على المسلمين ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب

وكانوا على اتصال بالمنافقين في المدينة يثيرونهم ويحركونهم ضد المسلمين كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بل إنهم حاولوا – أيضاً – اغتيال الرسول - ﷺ - وقد خرج إليهم الرسول - ﷺ - في ألف وأربعمائة هم أصحاب بيعة الرضوان ، فأرسل عبد الله بن أبي بن سلول إلى يهود خيبر يخبرهم بذلك واتجهت غطفان إلى خيبر لإمداد اليهود، ولكنهم سمعوا صخباً فظنوا أن المسلمين أغاروا على مساكنهم فرجعوا .

ووصل المسلمون حصون خيبر فخرج سيدنا عليّ بن أبي طالب إليهم يدعوهم إلى الإسلام فرفضوا فبارز ملكهم « مرحب » فقتله ثم خرج ياسر أخو « مرحب » للمبارزة فقتله الزبير ، ثم قتل عدد من أكابرهم وظل القتال أياماً حتى أنهار الحصن وتبعه الحصون الأخرى ، وكانت صفية بنت حيى في السبايا فعرض عليها النَّبيّ

- ﷺ - الإسلام فأسلمت فأعتقها وتزوجها ، وقد استشهد في هذه المعارك ستة عشر مسلماً ،أو يزيد قليلاً، أما قتلى اليهود فقد وصل عددهم ثلاثة وتسعين قتيلاً ، وبعد فتح خيبر أهدت زينب بنت الحارث شاة مسمومة للرسول - ﷺ- فمضغ مضعة ثم ألقاها ثم جاءوا بها إليه فاعترفت، وقد أرسل الرسول - ﷺ - إلى يهود فداك فاستجابوا له ففتحت صلحاً وكذلك يهود تيماء ، أما وادي القرى فقد فتحت عنوة وكان بها جماعة من اليهود مع جماعة من العرب .

سرية أبان بن سعيد (صفر سنة ٧ هـ) :

أرسل الرسول - ﷺ - إلى نجد سرية ، وهو متجه إلى خيبر حتى لا يفكر الأعراب بنجد في اقتحام المدينة ، والمسلمون في معاركهم مع يهود خيبر .

غزوة ذات الرقاع (ربيع الأول سنة ٧ هـ) :

علم رسول الله - ﷺ - بأن هناك قبائل من غطفـان قد تجمعت لحربه ، فخـرج إليهم فيما يزيـد على أربعمائـة من أصحابـه ولم يحدث قتال ، وقد قذف الله تعالى الرعـب في قلـوب الأعـراب ، حتى أن غطفـان لم ترفع رأسها بعد ذلك ، بل سلّمت ، ثم أسلمت .

وقد أرسل الرسول ﷺ عدة سرايا بعد ذلك :

- سرية غـالب بن عبد الله إلى بني الملوح « ربيع الأول سنة ٧هـ » .
- سرية حسمى « جمادي الثانية سنة ٧ هـ » .
- سرية عمر بن الخطاب إلى تربة « شعبان سنة ٧ هـ » .
- سرية بشرى بن سعد الأنصاري إلى بني مرة « شعبان سنة ٧هـ» .
- سرية غالب بن عبد الله،إلى بني عوال« رمضان سنة٧هـ» .

- سرية عبد الله بن رواحه، إلى خيبر « شوال سنة ٧ هـ » .
- سرية بشير بن سعد ،إلى يمين وجبار« شوال سنة ٧هـ» .
- سرية أبي حدرد الأسلمي ، إلى الغابة « سنة ٧ هـ » .

عمرة القضاء (ذو القعدة سنة ٧ هـ) :

خرج الرسول ﷺ مع من شهد الحديبية وآخرين فزاد عددهم على الألفين وأحرموا للعمرة من ذي الحليفة ثم طافوا وسعوا ونحروا الهدي عند المروة وحلقوا ، وفي هذه العمرة تزوج النَّبيّ ﷺ بميمونة بنت الحارث .

وبعد الرجوع من عمرة القضاء بعث الرسول ﷺ عدة سرايا وهي :

- سرية ابن أبي العوجاء في ذي الحجة سنة ٧ هـ وكانت خمسين رجلاً إلى بني سليم .
- سرية غالب بن عبد الله في صفر سنة ٨ هـ في مائتي رجل إلى فداك .

- سرية ذات أطلح في ربيع الأول سنة ٨ هـ ، في خمسة عشر رجلاً إلى بني قضاعة .
- سرية ذات عرق إلى بني هوازن : ربيع الأول سنة ٨ هـ، في خمسة وعشرين رجلاً .

غزوة مؤتة (جمادي الأولى سنة ٨ هـ) :

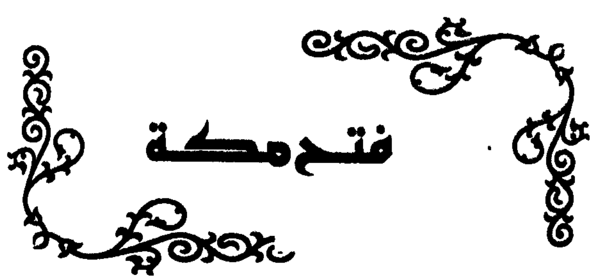
بعث رسول الله - ﷺ - الحارث بن عمير بكتابه إلى حاكم بصرى فقتله فأرسل إليه زيد بن حارثة في ثلاثة آلاف فلقي هرقل وهو في جيش يزيد كثيراً على مائة ألف، فاستشهد زيد رضي الله عنه وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فاستشهد ، فأخذ عبد الله بن رواحة الراية حتى استشهد رضي الله عنه ، فأخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فغير أوضاع الجيش حتى ظن الروم أن المدد قد جاء ثم انسحب بالجيش انسحاباً منظماً .

سرية ذات السلاسل (جمادي الآخرة سنة ٨هـ) :

أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص في ثلاثمائة ثم لحق به أبو عبيدة بن الجراح في مائتين مدداً إلى القبائل على مشارف الشام الذين عاونوا الروم واشتركوا معهم في غزوة مؤتة فحملوا عليهم ففروا .

سرية أبي قتادة إلى خضرة (شعبان سنة ٨ هـ) :

وكانت إلى بني غطفان الذين احتشدوا في خضرة وهي أرض محارب بنجد وعددها خمسة عشر رجلاً .



فتح مكة

أغار بنو بكر على قبيلة خزاعة التي كانت في حلف مع المسلمين وقد قاتل نفر من قريش مع بني بكر ، وبذلك نقضت قريش الهدنة التي كانت بينهم وبين المسلمين ، وقد حاولت قريش تجديد الصلح فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة ولكن دون جدوي ،حيث رفض الرسول ﷺ تجديد الصلح ، وكان ذلك جزاء الغدر ، وفي رمضان سار جيش المسلمين إلى مكة ومعه بعض القبائل وقد وصل عدده إلى عشرة آلاف مقاتل ، وقد بُهر أبو سفيان بما صار المسلمون فيه فأسلم على يد الرسول ﷺ ودخل جيش المسلمين مكة دون قتال ، وخاف كفار قريش أن ينتقم منهم الرسول ﷺ وهم الذين آذوه وآذوا أصحابه

وأخرجوه وأخرجوهم من بلدهم ولكن الرسول ﷺ ضرب المثل الأعلى في التسامح ، لقد قال لهم : « **يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟** » قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم » ، قال : « **فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء** » ، وقد دخل كثير من الناس الإسلام بعد ذلك لما رأوا من سماحته ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا ، وما عاد إلى مدينته المنورة إلا وقد استقر الإسلام في قلوب أهل مكة ، وتم تحطيم الأصنام وانتهى عهد الوثنية في البلد الحرام إلى يوم القيامة ، وبعد عودة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، اطمأن الأنصار وفرحوا وسعدوا به - ﷺ - بعد أن خافوا وحدثوا أنفسهم وظنوا أن الرسول - ﷺ - يستقر في مكة بلده ، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال لهم : « **معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم** » ، وذلك بعد أن علم بظنهم وخوفهم .

السرايا والبعوث بعد الفتح

[١] أرسل الرسول ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه ثلاثين فارساً إلى نخلة « رمضان سنة ٨ هـ » فهدم العزى وكانت أعظم أصنامهم وكان سد نتها بني شيبان .

[٢] أُرسل عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع فهدمه « رمضان ٨ هـ » وكان لهذيل برهاط على بعد ثلاثة أميال من مكة .

[٣] سعد بن زيد رضي الله عنه في عشرين فارساً ، فهدم مناه بالمشلل .

[٤] خالد بن الوليد إلى بني خذيمة داعياً إلى الإسلام في ثلاثمائة وخمسين رجلاً ولكنه قاتلهم لسوء ردهم فغضب لذلك رسول الله ﷺ .

غزوة حنين (٦ شوال سنة ٨ هـ) :

لما فتح الرسول ﷺ مكة اجتمعت بعض القبائل خارجها مثل هوازن وثقيف فخرج بهم مالك بن عوف وقد أمرهم أن يأخذوا أموالهم ونساءهم وأبناءهم معهم وقد ظن أن ذلك يجعلهم أكثر استبسالاً ، وقد خرج الرسول ﷺ في اثنى عشر ألفاً منهم ألفان من أهل مكة وذلك في اليوم التاسع عشر من دخوله مكة ، وقد قال قائل المسلمين يومها : « لن نغلب اليوم من قلة » ، فأراد رب العزة أن يؤكد لهم أن النصر من عند الله تعالى ، فما كاد الجيش الإسلامي يصل إلى وادي حنين حتى خرج إليه رجال مالك من خلف المضايق والشعاب والمداخل والطرق، فتفرق جمعه ووقف رسول الله ﷺ مع عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته ، وهو يقول في شجاعة وثبات :

«أنا النَّبيّ لا كذب . . . أنا ابن عبد المطلب» . . .

إنه يريد أن يقول : إنه النَّبيّ الصادق ولولا ذلك ما

ثبت في هذا الموقف... إن ذلك يدل على أنه مؤيد من الله الذي أرسله فهو في حماية منه مهما كان الأمر، فلا معنى للتكذيب به بعد ذلك، وهذه هي القضية الأساسية التي يعمل من أجلها الرسول ﷺ.

وأمر النبيّ ﷺ عمه العباس أن ينادي الصحابة بصوته القوي، فتجمعوا حول رسول الله ﷺ وهجم بهم هجمة فاشتد سعير المعركة وانهزم العدو، وتبعهم الرسول ﷺ إلى الطائف فضرب على حصنها بالمنجنيق ثم رفع الحصار عنها وعاد فوزع الغنائم، وأعطى المؤلفة قلوبهم الذين دخلوا الإسلام حديثاً من أهل مكة وغيرهم غنائم كثيرة فتكلم الأنصار في ذلك فجمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «**ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم**»، فبكى القوم ورضوا، ثم جاء وفد هوازن مسلماً فرد إليهم الرسول ﷺ النساء والأبناء ثم عاد إلى

المدينة بعد ما أدىٰ عمرة وولىٰ على مكة « عتاب بن أسيد » ، وكان وصوله - ﷺ - في نهاية شهر ذي القعدة سنة ٨ هـ ، واستمع إلىٰ الشيخ الفاضل / محمد الغزالي - رحمه الله - يقول في كتابه فقه السيرة :

« لله ما أفسح المدىٰ الذي بين هذه الآونة الظافرة بعد أن توج الله هامته بالفتح المبين ، بين مقدمة إلى هذا البلد النبيل منذ ثمانية أعوام ؟ ، لقد جاءه مطارداً يبغي الأمان غريباً مستوحشاً ، ينشد الإيلاف والإيثار ؛ فأكرم أهله مثواه ، وآووه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أُنزل معه ، واستخفوا بعداوة الناس جميعاً من أجله ، وها هو ذا بعد ثمانية أعوام يدخل المدينة التي استقبلته مهاجراً خائفاً ؛ لتستقبله مرة أخرى وقد دانت له مكة ، وألقت تحت قدميه كبرياءها وجاهليتها فأنهضها ليعزها بالإسلام ، وعفا عن خطيئاتها الأولى ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] .



الرسول ﷺ في المدينة بعد فتح مكة

استقبل الرسول ﷺ في المدينة بعد عودته الوفود التي تعلن الإسلام وأرسل الدعاة إلى أماكن مختلفة من الجزيرة العربية ودفع بالسرايا ليسود الأمن:

- سرية عيينة بن حصين إلى بني تميم في خمسين فارساً « ٩ هـ » وقد فروا فأخذ منهم عيينة أحد عشر رجلاً ، وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً ثم جاء القوم مسلمين فعاد إليهم ما أخذ منهم .
- سرية قطبة بن عامر إلى خثعم « صفر ٩ هـ » في عشرين رجلاً فأغاروا عليهم وكثر الجرحى من الفريقين وقتل قطبه وعادت السرية بالغنائم .

- سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب « ربيع الأول سنة ٩هـ » ، لدعوتهم إلى الإسلام فأبوا فقوتلوا فهزموا وقتل منهم رجل .
- سرية علقمة بن مجزز إلى سواحل جده « ربيع الآخر سنة ٩ هـ » في ثلاثمائة للقاء رجال من الحبشة اجتمعوا للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة ، وقد خاض علقمة البحر حتى وصل جزيرة فيه فعلم أن أعداءه قد هربوا .
- سرية عليّ بن أبي طالب إلى صنم لطئ « ربيع الأول سنة ٩هـ » في خمسين ومائة فهدموه وعادوا بالسبى وفيه أخت عدي بن حاتم التي مَنَّ الرسول ﷺ عليها فعادت إلى أخيها فجاء إلى النَّبيّ وأسلم .

غزوة تبوك (رجب سنة ٩ هـ) :

خاف قيصر الروم من تعاظم قوة المسلمين واستقطابهم للقبائل العربية فأخذ يجهز لمعركة كبيرة .

رأى رسول الله ﷺ أن يبادرهم بالهجوم ، فانظر إلى عبقريته العسكرية التي سبقت نابليون بونابارت الذي قال : « **إن الهجوم خير وسيلة للدفاع** » .

جمع الرسول ﷺ ثلاثين ألف مقاتل لم تكفهم التبرعات الكثيرة من أغنياء المسلمين وفقرائهم حتى سمى هذا الجيش جيش العسرة ، وقد خرج لهذه الغزوة كل مؤمن صادق وتخلف عنها كل منافق أو معذور إلا ثلاثة قبل الله - تعالىٰ - توبتهم وجاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في سورة التوبة :١١٨ ، قال تعالى : ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)** ﴾ .

ولما وصل الجيش إلى تبوك تخاذل الرومان وحلفاؤهم وعادوا أدراجهم ورجع الجيش إلى المدينة ، وجاءت الوفود إلى الرسول ﷺ منهم من يعطى الجزية ومنهم من يسلم .

بعض الأحداث المهمة (سنة ٩ هـ) :

- وفاة النجاشي ملك الحبشة ، وصلاة الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب .
- وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ .
- وفاة عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة وقد صلى عليه رسول الله ﷺ واستغفر له ثم نزل القرآن الكريم يعاتبه على ذلك .
- بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج ليقيم بالمسلمين المناسك ، ولما نزلت أوائل سورة التوبة أرسل إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، حتى إذا كان يوم النحر قام عند الجمرة ؛ فأخبر الناس بما أرسله به رسول الله ﷺ .

وقفة تأمل
في ساحة الغزوات والسرايا

● ظهر لنا أن الرسول ﷺ هو أكبر قائد عسكري عرفه التاريخ لا يدانيه قائد آخر فراسة ويقظة وعلى كثرة المعارك التي خاضها لم يثبت له التاريخ أي خطأ وما وقع للمسلمين من هزيمة في أُحد أو حنين كان بسبب مخالفة المسلمين لأمر أو لضعف فيهم مع مقدرته على تدارك الأمر وتحويل الهزيمة إلى نصر وهو ثابت كالطود لا تتأثر شجاعته ولا يهتز وذلك لثقته بربه وتصديقه لوعده بالنصر .

● فرض الرسول ﷺ الأمن والسلام بهذه الغزوات والسرايا .

● أنشأ الرسول ﷺ بهذه الغزوات والسرايا من الكوادر العسكرية والقيادات من استطاع أن يتفوق على قادة الفرس والروم في التخطيط وإدارة المعارك .

● وضع الرسول ﷺ من القيم والمثل والنظم والقواعد في مجال النشاط العسكري ، ما لم يصنع أحد من قبله ولا من بعده ، كائناً من كان ومن ذلك :

- وصية الجند بتقوى الله .
- التذكير بأن هذا القتال في سبيل الله فلا يفعل فيه إلا ما يرضي الله.
- عدم الغرور .
- عدم الغلو .
- لا تمثيل بالجثث .
- لا قتل للأطفال أو النساء أو الشيوخ .
- لا تحريق أو تدمير .

■ لا نهب .

■ لا يجهز على جريح .

■ لا يتبع أحد مدبراً فاراً .

■ لا إهلاك للحرث .

■ لا قطع للأشجار .

■ لا إغارة بليل .

■ لا قتال إلا بعد الدعوة إلى الإسلام ثلاثاً ؛ فإن دخل المدعوون في الإسلام كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ،وإن كانت الأخرى؛ فإما دفع الجزية وإما الحرب .

■ لا قتل لسفير أو أسير أو معاهد (١) .

وكان الهدف من القتال دائمًا تحطيم الحواجز والطواغيت التي تمنع دخول الناس في الإسلام ؛ فإن خلص المسلمون إلى الاس فما يكون إلا البلاغ ثم من شاء

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر الرحيق المختوم ص ٣٨٨ وما قبلها .

فليؤمن ومن شاء فليكفر ، والجميع حسابهم على الله ، والدليل على ذلك أن المسلمين حكموا البلاد والعباد قرونًا طويلة ، تاركين الناس على ما اختاروا من عقيدة ، ولو كان الإكراه ديدنهم ما بقى في هذه البلاد غير المسلمين .



الوفود التي جاءت تعلن الإسلام

إن هذه الوفود جاءت طائعة مختارة بعد أن رأت نور الإسلام وعدل المسلمين، وفي سعيها إلى الحق دليل على بطلان دعوى كل من يكيل للإسلام والمسلمين التهم .

■ **وفد عبد القيس :** كان كبيرهم الأشج العصري الذي قال له الرسول ﷺ : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » .

■ **وفد دوس :** أسلم الطفيل بن عمرو الدوس ورجع إلى قومه فدعاهم حتى يئس منهم وجاء إلى رسول الله ﷺ ـ ليدعو عليهم فدعا لهم رسول الرحمة ـ ﷺ ـ قائلاً : « اللهم اهدِ دوسًا » فأسلموا .

■ وفد صداء : من ناحية اليمن ، وقد جاء منهم مائة

رجل إلى رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع .

■ وفد كعب بن زهير بن أبي سلمى : كان كعب يهجو الرسول - ﷺ - شِعْرًا ، ثم جاء إلى المدينة وقابل رسول الله - ﷺ - وتاب بين يديه ، وكان ذلك سنة ٨ هـ بعد غزوة الطائف ، وقد قال قصيدة مشهورة أشاد فيها بعفو النَّبيّ - ﷺ - وسماحته ومن أبياتها قوله :

نبئت أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ

قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

إن الرسول لنور يُستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

■ **وفد بلى :** ربيع الأول سنة ٩ هـ .

■ **وفد ثقيف :** رمضان سنة ٩ هـ .

■ **رسالة ملوك اليمن :** وجاء بها مالك بن مرة الرهاوي وفيها إعلان إسلامهم ، وقد بعث إليهم الرسول - ﷺ - معاذ بن جبل .

■ **وفد همدان :** سنة ٩ هـ ، وقد أرسل إليهم الرسول - ﷺ - خالد بن الوليد ، ثم عليّ بن أبي طالب .

■ **وفد بني فزارة :** سنة ٩ هـ .

■ **وفد نجران :** نجران بين مكة واليمن ، وكان يشتمل على ثلاث وسبعين قرية ، وكانوا على المسيحية ، سنة ٩ هـ . وقد قبل منهم الرسول - ﷺ - الجزية وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم ، وكتب لهم بذلك كتاباً ، ثم انتشر الإسلام فيهم .

■ **وفد بني حنيفة :** سنة ٩ هـ ، وفيهم مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة بعد عودته إلى قومه باليمامة سنة ١٠ هـ ، وقد قُتِلَ سنة ١٢ هـ ، على يد وحشي قاتل

حمزة - رضي الله عنه - ، وكان وحشي قد أسلم .

▪ وفد بني عامر بن صعصعة :

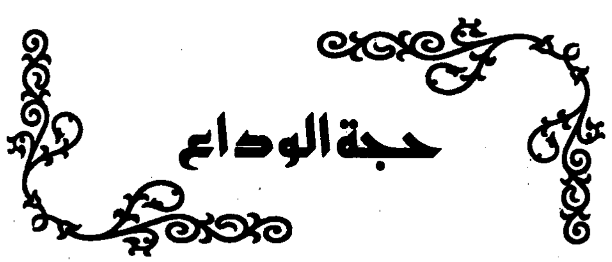
كان فيهم عامر بن طفيل الذي غدر بأصحاب بئر معونة ، وقد أرادوا قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله - تعالى - لم يمكنهم من ذلك ، وعصم الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن أراد بالرسول - صلى الله عليه وسلم - شراً قتله الله تعالى شر قتله ، فهذا عامر بن طفيل أصيب بغدة في عنقه مات بسببها ، وهذا أربد بن قيس الذي كان شريك عامر في الغدر بالنَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - أصابته صاعقة أحرقته ؛ فليعتبر كل من يفكر في إِيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وليعلم أنه في حماية القهار - سبحانه - ، والذين يتطاولون على مقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أي زمان لابد من وقوعهم تحت طائلة العذاب الإِلهي الذي لا قِبَلَ لهم به ولا طاقة ؛ فإِن كرامة الرسول من كرامة المرسل سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

■ **وفد تجيب :** وكان فيهم غلام دعا الرسول - ﷺ - له ، فثبت في الردة ووعظ قومه فثبتوا ، وقد عاد هذا الوفد إلى النبيّ - ﷺ - مرة أخرى في حجة الوداع سنة ١٠هـ .

■ **وفد طيء :** عرض عليهم الرسول - ﷺ - الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم .







حجة الوداع

جاء كثير من الناس إلى المدينة لما علموا بنية الرسول ﷺ الحج فسار معهم بعدما اغتسل وتطيب وأحرم حتى وصل مكة وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة «يوم التروية» توجه إلى «منى» فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم سار بعد طلوع الشمس إلى عرفة فنزل بنمره ، وبعد زوال الشمس نزل إلى بطن الوادي فخطب في المسلمين وقد زاد عددهم عن مائة ألف ، خطب خطبة جامعة لخص فيها أوامر الإسلام كلها ثم عاد إلى المدينة .

خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع :

نظراً لأهمية هذه الخطبة وشمولها تعاليم الإسلام

الرئيسية ؛ فإنها لا ينبغي أن تفوت المسلم ؛ بل يجب على أن يعرف ويدرس كل ما أحاطت به ، ومن هنا حرصت على تسجيلها راجيًا عِظَم الانتفاع بها ، وعلى كل من يصعد المنبر خطيبًا أن يجعلها يومًا خطبة جمعه لايزيد عليها ولا ينقص ؛ فهي شافية كافية ، تغني عن كثير كلام وطول شرح ، وما على المسلم إن نقلها في ورقة ووضعها في جيبه حتى إذا تعسر وجود خطيب في يوم جمعة ما ، قام فألقاها أو أعطاها من يقوم بذلك ، بدلاً من كثرة الهرج والمرج بحثًا عن خطيب أو اللجوء إلى من ليس أهلاً لهذا المقام،وبعد . . .فإليك هذه الخطبة الكريمة :

قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع : « أيها الناس ، اسمعوا قولي ؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا [1] .

---

(١) سيرة ابن هشام .

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع،ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ـ وكان مسترضعًا ي بني سعد فقتلته هذيل ـ وربا الجاهلية موضوع،وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله .

فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهم بأمانة الله ، واستحللتم فروجهم بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ؛ فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم زرقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله [1] .

---

(١) صحيح مسلم .

أيها الناس ، إنه لا نبي بعدي ، ولا زمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم ، وصلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم ، وتحجون بيت ربكم ، وأطيعوا ولاة أمركم ، تدخلوا جنة ربكم[١] .

وأنتم تسألون عني ؟ ، فما أنتم قائلون ؟ ، قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : ـ بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس ـ « اللهم اشهد ـ ثلاث مرات »[٢] .

ومن هذه الخطبة الكريمة نتعلم ما يأتي :

- شعور الرسول ـ ﷺ ـ بدنو أجله .
- حرص الرسول ـ ﷺ ـ على نصح المسلمين وإنقاذهم من عذاب الدنيا والآخرة .
- حرص الرسول ـ ﷺ ـ على العلاقات الطيبة بين

---

(١) رواه ابن ماجه وابن عساكر .

(٢) رواه مسلم (١ / ٣٩٧) .

المسلمين التي لا يشوبها ظلم في دم أو عرض أو مال .

■ حرمة دم المسلم وعرضه وماله .

■ التأكيد على قدسية وحرمة الأشهر الحرم والبلد الحرام مكة .

■ الإسلام يَجُبّ ما قبله من أعمال الجاهلية .

■ الرسول - ﷺ - يبدأ بتطبيق الأحكام الشرعية على نفسه والأقربيه فهو قدوة المسلمين يطابق فعله قوله .

■ الوصية بالنساء والضعفاء والحرص على عدم ظلمهم .

■ بيان حقيقة الزوج والزوجة وواجبات كل منهما .

■ الوصية بالاعتصام بكتاب الله - تعالى - وهدي نبيه - ﷺ - .

■ سيدنا محمد - ﷺ - خاتم النَّبيين وأمته لا أُمَّة بعدها .

■ الوصية بطاعة الله وعبادته .

■ طاعة ولاة الأمور واجبة ما لم يأمروا بمحرم .

■ الرسول - ﷺ - شهيد علينا ونحن شهداء على أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

■ الرسول - ﷺ - يخاف من الحساب أمام الله - تعالى - ويُشهد المسلمين على عدم تقصيره فما لنا نستهين بالأمر ولا نخاف ونتجرأ على معصية الله - تعالى - ومخالفة أمره .

بعث أسامة بن زيد رضي الله عنهما :

كانت دولة الروم تقتل من أتباعها كل من يدخل في الإسلام كما فعلت مع فروة بن عمرو الجذامي الذي كان واليًا من قبلهم على معان ؛ فجهز الرسول - ﷺ - جيشًا كبيرًا في صفر سنة ١١ هـ ، وجعل أميره أسامة بن زيد بن حارثة ، وكان في الجيش كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب، وكان هذا اختيار موفقًا : إن الروم قد قتلوا زيد

ابن حارثة والد أسامة في غزوة مؤته، كما أن الرسول ـ ﷺ ـ قد رأى براعة أسامة وشجاعته وقدرته العسكرية في غزوة حنين في أصعب ظروف القتال عندما تقهقر المسلمون .

ولقد أصر الصدّيق على إنفاذ بعث أسامة بعد وفاة النَّبيّ ـ ﷺ ـ واستأذن الصدّيق أسامة في ترك عمر بن الخطاب وزيراً له فيا لمدينة ، وكان في انتصار أسامة التأكيد على أن الإسلام لم يتراجع بموت النَّبيّ ـ ﷺ ـ ذلك أن الرجال الذين تعلموا في مدرسة النبوة قد جاء دورهم ؛ فكان في ذلك الردع القوي لكل طامع .

العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله - ﷺ -

■ كان - ﷺ - يعتكف كل سنة شهراً في رمضان ، فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة .

■ كان سيدنا جبريل - عليه السلام - يراجعه القرآن مرة في رمضان فراجعه في السنة الأخيرة مرتين .

■ لما بعث الرسول - ﷺ - معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري » .

■ خرج النَّبِيّ - ﷺ - للحج في السنة العاشرة ؛ فودع الناس وقال لهم : « **خذوا عنِّي مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا** » .

■ نزل عليه - ﷺ - في عرفة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

[المائدة : ٣] .

■ في ثاني أيام التشريق نزل عليه - ﷺ - ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ .

[النصر : ١-٣] .

ومعنى ذلك أن النصر جاء وكَمُلت الرسالة ودخل الناس في الإسلام ، وانتهت وظيفة الرسول ﷺ فما بقى إلا أن ينتقل ، وهكذا فهم الصدّيق فبكى - رضي الله عنه - .

■ خرج النَّبيّ - ﷺ - إلى أُحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات .

■ تتابع الوحي أكثر من ذي قبل .

■ قول الرسول - ﷺ - قبل وفاته : « إن الله خَيَّر عبداً

بين الدنيا وبين ما عنده ،فاختار ذلك العبد ما عند الله».

■ كان - ﷺ - يرغب في كثرة الجلوس إليه ويقول :

«والذي نفس محمد بيده ليأتيني على أحدكم يوم لا يراني ، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم»(١).

■ زيارته - ﷺ - لأهل البقيع « مقابر المدينة » واستغفاره لهم .



---

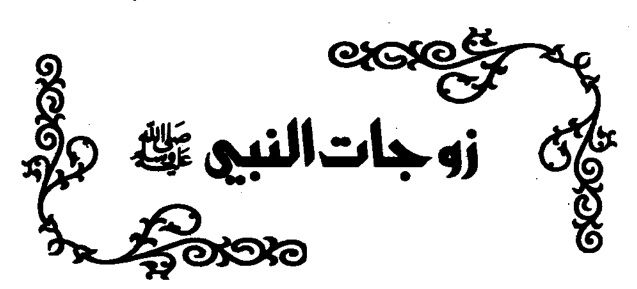
(١) رواه مسلم .



في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ ، شهد جنازة في البقيع وعاد وقد أصابه صداع وارتفاع في درجة الحرارة ، وثقل عليه المرض قبل وفاته بخمسة أيام ، وفي خلال هذه الأيام خرج إلى المسجد وقال للمسلمين : « **من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه** » .

لقد طلب القصاص ﷺ من نفسه وفي هذا قمة العدل وأراد أن يخلي ساحته من كل حق للناس عليه ، ثم أوصى بالأنصار، وقد أوصى ﷺ بالصلاة مكرراً قوله : « **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم** » وكان آخر عمل

قام به ﷺ السواك ، وغسّل رسول الله ﷺ العباس وعليّ والفضل وقثم ابني العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وأسامة بن زيد وأوس بن خولى وكفنوه في ثلاثة أثواب بيض ودفنوه في مكان موته .



- عدد من عقد عليهن ثلاث عشرة امرأة .
- اثنتان توفيتا في حياته هما : خديجة وأم المساكين زينب بنت خزيمة .
- واثنتان لم يدخل بهما واحدة من بني كلاب.وأخرى من كنده .
- تسرى باثنتين أحدهما مارية القبطية التي ولدت إبراهيم ، والثانية ريحانة بنت زيد ، وكانت من سبايا بني قريظة .

الأخريات هن :

- سودة بنت زمعة رضي الله عنها .
- عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .

- حفصة بنت خزيمة رضي الله عنها .
- زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .
- أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها .
- زينب بنت جحش رضي الله عنها .
- جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق رضي الله عنها .
- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها .
- صفية بنت حيي بن أخطب من بني اسرائيل رضي الله عنها .
- ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

وقد قضي الرسول ﷺ شبابه مع زوجة واحدة تكبره سناً هي خديجة رضي الله عنها ، ثم تزوج ﷺ الأخريات لأغراض كثيرة ، كلها لخدمة الدعوة ، وكان ربْ العزة هو الذي يزوجه فهي حكمة إلهية عالية .

ويكفي أن زوجات النَّبيّ ﷺ قد قمن بنشر جانب

عظيم من العلم ، والفقه الخاص بالمرأة ، والعلاقات الزوجية ، لم يكن ليتيسر ذلك لهن وللأمة ، لولا هذا الزواج المبارك .



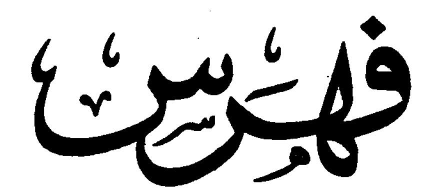
المراجـــع

- الرحيق المختوم ، لفضيلة الشيخ / صفي الرحمن .
- النبذة في السيرة النبوية ، للعلامة أبي النصر مبشر الطرازي الحسيني .
- القبس الوضاء من سيرة خاتم الأنبياء ، للأستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار .
- صورة من حياة الرسول - ﷺ - للأستاذ / أمين دويدار .
- السيرة النبوية ، لابن هشام .
- فقه السيرة للشيخ / محمد الغزالي ، تحقيق الشيخ الألباني .
- مختصر سيرة الرسول - ﷺ - للإمام محمد بن عبد الوهاب .

- الفصول في اختصار سيرة الرسول - ﷺ - تأليف الحافظ إسماعيل بن كثير .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم .
- رحمة للعالمين .
- فتح الباري ، شرح صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- سيرة الرسول - ﷺ - جمع وترتيب أ. محمود المصري .




السيرة النبوية


فهرس

فهرس

